كتب دائرة المعارف الإسلامية
(١٠)

ألف ليلة وليلة

دراسة وتحليل

بقلم

ليتمان

E. LITTMANN

لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية

ابراهيم خورشيد • د. عبد الحميد يونس • حسن عثمان

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان

مكتبة المدرسة
بيروت - لبنان



أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٌ

دراسة وتحليل

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبنان)
هاتف : ٢٥٧٤٧٠ - ٢٣٧٥٣٧
TELEX No 22865 K.T.L
LE BEIRUT

الطبعة الأولى
١٩٨٢

كتب دائرة المعارف الإسلامية
(١٠)

ألف ليلة وليلة

دراسة وتحليل

ليتمان
E. LITTMANN

لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية
ابراهيم خورشيد . د. عبد الحميد يونس . حسن عثمان

دار الكتاب اللبناني بيروت



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وهذا هو الكتاب العاشر من كتب « دائرة المعارف الاسلامية » ويتناول موضوعاً أصبحت له شهرة عالمية ، وأثَّر في عالم القصة وكتَّابها أثراً خالداً ، ألا وهو « ألف ليلة وليلة » ، بل إن أثره في الغرب كان عظيماً ، وقد دخلت قصص منه في الادب الشعبي الغربي مثل علاء الدين وعلي بابا والسندباد البحري .

وقد كتب هذا الكتاب ودرسه دراسة تحليلية ثلاثة من أئمة المستشرقين هم أويسترب وماكدونالد وليتمان ، كما كتب عن ألف ليلة الأديب الكبير أحمد حسن الزيات .

أما أويسترب فقد ولد سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٩٣٨ ، وحصل على درجته الجامعية سنة ١٨٩٠ ووسع أفق دراسته بالمقارنة بين اللغات المختلفة وخاصة السنسكريتية والعربية ، وحصل على الدكتوراه في الرابعة والعشرين من عمره برسالة في ألف ليلة وليلة لا تزال مرجعاً ثبتاً إلى الآن . وأكثرَ من الرحلة فزار مصر وسورية ولبنان من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٨٩٣ ، وتعلم التركية والعربية العامية .

ومن أهم آثاره ودراسته : ملاحظات طبوغرافية عن آسية الصغرى ، ودراسة طبوغرانية عن صحراء سورية ، ووصف مصر لعمر بن محمد الكندي ، وحكايات من دمشق ، والأثر السامي في هوميروس ، وترجم أجزاء من تاريخي ابن الاثير وابي شامة ، وله أيضا : موجز تاريخ الإسلام ، والإسلام في القرن التاسع عشر ، والمغاربة والمغرب ، ومصر الحديثة .

وأما ماكدونالد فقد ولد سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩٤٣ ، وكان صديقاً وتلميذاً لهنيلكسون ، درس في جلاسجو ، ثم انتقل إلى برلين سنة ١٨٩٠ وأخذ

اللغات الشرقية على سخاو ، ثم شخص إلى هاركنورد لدراسة اللغات السامية ، وأسس فيها مدرسة كيندي للبعثات ، كما أشرف على القسم الإسلامي عدة سنوات ، وأسس بمساعدة صمويل زويمر مجلة عالم الإسلام ، كما أسس بمعاونة ساركون مجلة إيزيس . وأهم آثاره ودراسته : علم الكلام في الإسلام ، وترجمة رسالة النفس لابن سينا ، وإحياء علوم الدين للغزالي ، وتطور علم الكلام في الإسلام ومذاهب الفقه والنظم ، والدين والحياة في الإسلام وفهرس المخطوطات العربية والتركية في مكتبة نيوبري بشيكاغو ، ودراسات قيمة في ألف ليلة وليلة ، وعقيدة الوحي في الاسلام ، واللهجات العربية ، والشعر العربي ، ومقاصد الفلاسفة للغزالي ، والعلوم الطبيعية في الإسلام .

وأما ليتمان فمستشرق عظيم ولد سنة ١٨٧٥ وتوفي سنة ١٩٥٨ ، وولي منصب أستاذ اللغات الشرقية في جامعة توبنجن ، وأستاذ في الجامعة المصرية عند انشائها ، وأستاذ في جامعات المانيا والولايات المتحدة

واشتـــرك في بعثـــات التنقيب في سورية وفلسطـــين والحبشة ، وأشرف مع غيره على تحرير دائرة المعـارف الإسلامية ، واشترك في مؤتمرات المستشرقين وحلقات الدراسات الشرقية ، وأنشـأ المكتبـة الحبشية لدراسـة لغـات الحبشـة وأدبهـا وتاريخهـا وقـد أصـــدرت هذه الدراسة مكتبة جامعة برينستون عن دار بريل بليدن ، وانتخب عضواً في جمعيات ومجامع علمية منها المجمع اللغوي بمصر وقدم لهذا المجمع دراسات قيمة في اللغة العربية التي كان ضليعاً فيها كأحد أبنائها .

وآثاره ودراسته تعزّ على الاحصاء واهمها ، تراجم وفهـارس ودراســات تناولـت علاقـة الشرق بالغـرب والمستشرقين ، واللغات السامية وكتاباتهـا ، والشرق الاوســـط ، وشمالي افـــريقية ، وكتابـــات سورية ، والـدروز ، وبـدو العـرب ، والكتابـــات الشرقية في ليدن ، والتقويم الإسلامي ، وآثار الجـزيرة العـربية وجغرافية مصر ، وألف ليلة وليلة ، وامـرؤ القيس ، والبيروني ، والأدب العربي المعاصر ، وأبو سفيان ، وقصة ملكة سبأ .

وأما الاستاذ أحمد حسن الزيات فأشهر من أن يعرّف ، فهو أديب عربي فحل ، وحسبه أنه أصدر مجلة الرسالة التي كان يكتب فيها أئمة الكتاب العرب المحدثين ، كما أن له فضلاً لا ينكر على الأدب العربي .

وبعد فهذا كتاب يتناول أهم مجموعة قصصية عربية دوى صيتها في العالمين وقد تناولها بالدرس والتحليل ثلاثة من أكابر المستشرقين وأديب عربي كبير له مكانته ووزنه .

والله ولي التوفيق

إبراهيم زكي خورشيد
رئيس تحرير النسخة العربية
من دائرة المعارف الإسلامية

١٨/ ٢/ ١٩٨٠

ألف ليلة وليلة

« ألف ليلة وليلة » : عنوان أشهر مجموعة عربية للقصص : كان العرب منذ أقدم العصور ـ كجميع المشارقة ـ مشغوفين بالاستماع إلى القَصص الخيالي ، ولكن ضيق[1] أفقهم العقلي بعض الضيق جعلهم يأخذون معظم مادة هذه القصص عن غيرهم ، أمثال الفرس والهنود ، تدلنا على ذلك الروايات الخاصة بالنضر[2] التاجر الذي كان يناوىء النبي ؛ ففي القرنين السابع والثامن لميلاد المسيح بدأ الاتصال بين العرب وفارس وما يليها من البلاد الشرقية ، وجدّوا في نقل مادة القصص والأساطير عن هذه البلدان . ولسنا

---

(١) الحكم على العرب بضيق الأفق العقلي فيه غلو وسوء تعبير ، فإن لم يكن لهم حظ وافر من القصص فقد اتسعت عقولهم لكثير من ألوان الأدب .

(٢) يشير الى قصة النضر بن الحارث الذي أسر يوم بدر وأمر النبي عليّاً بقتله صبراً لأنه كان يروي أخبار الفرس والروم لأهل مكة معارضاً بذلك ما جاء في القرآن من أخبار عاد وثمود قدحاً في النبوة . وليس في ذلك حجة على افتقار العرب في القصص كما أراد الكاتب .

جاد المولى

نستطيع ـ على التحقيق ـ تتبع مراحل السند لهذه القصص ، ما خلا القليل منها مثل : كتاب كليلة ودمنة ، لأن القصة أو ما يدخل في بابها لم تكن من صناعة الأديب إذ ذاك .

ونمت الحضارة العربية وتعددت جوانبها في القرون التالية ، وألفت قصص مبتكرة في حواضر العالم الإسلامي . وأخذ فن القصة مع غيره من مظاهر التطور العقلي ينتقل شيئاً فشيئاً من المشرق إلى المغرب ؛ نجد هذا كله ممثلاً في كتاب ألف ليلة وليلة ، وهو أكبر مجموعة عربية للقصص وأكثرها تنوعاً ، ففيه العناصر الدخيلة الشرقية الأصل إلى جانب العناصر العربية الخالصة ؛ والحق إن قصة هذا الكتاب تؤلف فصلاً مشهوداً من تاريخ تطور الحضارة الشرقية عامة . على أن ندرة المعلومات الخاصة به تضطرنا إلى أن نجمل الحديث عنه ، فلا نبلغ من الدقة ما نريد .

ولم يبدأ البحث الجدّي في أصل هذا الكتاب إلا في أوائل القرن التاسع عشر ، وأول عالم أسهب في بحث

هذا الموضوع هو سلفستر ده ساسي Silvestre de Sacy واضع فقه اللغة العربية الحديث .

وقد أنكر إمكان قيام فرد واحد بتأليف هذا الكتاب ، وسلَّم في المقالين الأخيرين اللذين ذكرناهما بأنه أُلِّف في عهد متأخر جداً ، ورفض آخر الأمر رفضاً باتّاً الرأي القائل بوجود عناصر هندية وفارسية فيه ، وزعم لذلك أن الفقرة التي وردت في كتاب المسعودي بهذا الصدد منحولة له ، ونحن ننقلها إليك لما لها من الشأن العظيم في تاريخ هذا الكتاب : قال المسعودي حين عرض لأخبار شدّاد بن عاد ومدينته إرَم ذات العماد : « إن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة ، نظمها من تقرَّب من الملوك برواياتها ، وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة إلينا من الفارسية والهندية والرومية (وفي رواية أخرى الفهلوية بدل الهندية) مثل كتاب هزار أفسانه ، وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة (وفي روايتين أخريين ألف ليلة وليلة) وهو خبر الملك والوزير وابنته شهرزاد

وجاريتها دنيازاد » .

وخالف يوسف فون هامر Josehp Von Hammer ده ساسي فقال بصحة رواية المسعودي بجميع ما يترتب عليها من نتائج .

أما وليم لين William Lane الذي أجاد ترجمة جزء من ألف ليلة وليلة فقد حاول أن يثبت أن هذا الكتاب ألَّفه بأكمله مؤلف واحد ، وأنه كتب بين ١٤٧٥ و١٥٢٥ م .

وفي السنوات الأخيرة انبرى ده غويه De Goeje لتلخيص المناقشة التي دارت حول الموضوع فوازن بين الفقرة التي أوردها محمد بن إسحق الورّاق في الفهرست والتي جاء بها أن هزار أفسانه قيل إنه ألّف لحميا ابنة الملك بهمن وبيّن الفقرة التي أوردها الطبري (جـ ١ ، ص ٦٨٨) وجعل فيها إستر أمّاً لبهمن وأطلق اسم شهرزاد على حميا ، ثم حاول ده غويه أن يوجد صلة بين هيكل ألف ليلة وبين كتاب إستر : وتوسع ميلّر في بسط هذه الفكرة وفطن إلى أن

الكتاب يتكون من طبقات متعددة ، وقال إن إحداها ألفت في بغداد وإن الأخرى ، وهي أكبر وأوسع ، كتبت في مصر .

وأخذ نولدكه Noldeke بنظرية الطبقات وفصلها تفصيلاً أدق ، إذ وضع مقاييس للموازنة نتوسل بها إلى تمييز كل طبقة منها .

وأثارت هذه البحوث أويسترپ Oestrup فحاول أن يصنف القصص المستقلة في ثلاث طبقات ، تشمل الأولى هيكل الكتاب والقصص المأخوذة عن الكتاب الفارسي هزار أفسانه ، وتضم الثانية القصص التي أخذت من بغداد ، وتجمع الثالثة القصص التي أضيفت إلى الكتاب في مصر ؛ وقال في الوقت نفسه بوجود قصص أضيفت إلى الكتاب في زمن متأخر جدّاً مثل قصة البطولة والفروسية الضافية التي تتحدث عن عمر بن النعمان وولديه ، غير أن تسيبولد Seybold خالف الرأي الذي يقول بأن هذه القصة إضافة متأخرة . وجاء كرمسكي I .Krimski فذيَّل الترجمة

الروسية لرسالة أوبسترب بتعليقات نقدية .

وتابع شوڤان Chauvin تحليل الأقسام التي تتألف منها الطبقة الكبيرة . فبيَّن أن الطبقة المصرية تتألف من قسمين أحدهما يهودي الأصل وأورد شوڤان ورينيه باسيه René Basset ملاحظات قيمة في مسائل معينة تتصل بهذا الكتاب .

أما وقد وصلنا في البحث الى هذه المرحلة فإننا نستطيع أن نقرر في كثير من الثقة « أن النواة الأصلية لكتاب ألف ليلة وليلة مأخوذة عن كتاب قصص فارسي يعرف بكتاب « هزار أفسانه » ربما نقل إلى العربية في القرن الثالث الهجري ، وأن مادة هذه القصص معظمها من أصل هندي » : ووجوه الشبه التي نجدها بين كتب هندية وفارسية لا شك في أنها أقدم من الأصل العربي ، وبين نواة ألف ليلة وليلة تمدنا بمقاييس نستطيع أن نميز بها قصص هذه الطبقة القديمة . وهذا التشابه صنفان ، فهو طوراً يكون صورة مطابقة للنص العربي ، وطوراً ينحصر في ملامح متفرقة من السهل تمييزها ، وكلما كانت هذه الملامح بارزة واشتد اتصالها

ببناء القصة وموضوعها زادت قيمةً في نظرنا هـ

ولدينا إلى جانب هذا مقاييس خارجية خالصة ؛ كذكر الأسماء والنظم الفارسية القديمة . وقد حاول لين Lane الدفاع عن النظرية القائلة بالأصل العربي لكتاب ألف ليلة وليلة فبالغ في تقدير هذه المقاييس الخارجية بمقدار ما وجد فيها من تأييد لنظريته . ومن الأيسر علينا أن نعلل كيف أن قصاصاً أو نساخاً عربّياً وضع أسماء وإشارات عربية تتلاءم والأحوال العربية المعاصرة له من أن نتفهم علة ورود الأسماء الفارسية القديمة ، اللهم إلا إذا فرضنا أن هذه الأسماء عبارة عن بقايا مرحلة قديمة من مراحل التطور ، ولذلك فإن المقاييس الخارجية التي تتصل بالهند وفارس تعتبر أهم نسبّياً من غيرها ، فقُصَّاص العرب كانوا يعرفون كيف يطبعون القصة الأجنبية بالطابع المحلي ، وكيف يوفقون بينها وبين ما يحيط بهم ، غير أنه كانت تعوزهم الحاسة القصصية الفنية الواعية التي تمكنهم من أن يصبغوا الشيء الوطني بالصبغة الأجنبية ويكسبوه جو بلاد غير بلادهم .

وفي القصة الأولى التي يتكون منها هيكل الكتاب نجد كلاً من المقياسين اللذين يثبتان وجود الأصل الأجنبي فيه جنباً إلى جنب ، فاسما : شاه زنان وشهريار وغيرهما أسماء فارسية ، كما أن خيانة زوجَي الأميرين الأخوين التي انتهت برحلة أحدهما تشبه القصة الهندية « كاتها سارت ساكارا » . وكذلك القصص الصغيرة الثلاث التي وردت عرضاً في نواة الكتاب ، والتي تتحدث عن التجار الذين يفهمون لغة البهائم والوحوش لها نظائر في الأدب الهندي . والتشابه الملحوظ بين الطريقة التي تدمج بها بعض القصص في هيكل ألف ليلة وليلة وبين الطريقة التي تنتهجها الكتب الهندية له أهمية خاصة ، فان إدماج قصة في قصة من خصائص الأدب الهندي ، وهو أمر مشاهد في « المهابهاراته » والـ « پنچه تنتره » و« تله پنچه ومساتي » وغيرها ، ولا يحفل الهنود بما في هذه الطريقة من بُعد عن الواقع ومنافاة لطبيعة الأشياء ، فإنهم يظهرون من حين إلى حين أشخاصاً يتكلمون أو يستمعون في حين أن طبيعة موقفهم من القصة تتنافى

مع هذا .

والباعث الأول لكتاب ألف ليلة وليلة هو اكتساب الوقت وثني المتهور عن عزمه . وهذا موجود أيضاً في قصة الوزراء السبعة الهندية الأصل ، ونلحظ هذا بصورة أخرى في القصة الهندية « صو كاساپتاتي » ففيها تحول الببغاء الأريبة بين زوجة صاحبها وبين زيارة خليلها في غيبة زوجها بأن تشغلها في البيت بجزء من قصة تسرده عليها كل يوم وتختمه دائماً بقولها : « سأقص البقية غداً إذا بقيت في البيت الليلة » ، وهكذا لا تستطيع الزوجة تنفيذ مأربها حتى يعود زوجها .

وهذه الطريقة في تكوين هيكل القصص شائعة في الهند نادرة في غيرها . ولسنا نعرف بين المصنفات القديمة كتاباً واحداً اتبع فيه هذا النهج اللهم إلا كتاب أوڤيد . ويمكن اتخاذ هذا النهج مقياساً نميز به الأصل الهندي لأجزاء خاصة من ألف ليلة وليلة . وليس الأمر مقصوراً على ذلك بل إنه يتعداه إلى الأسلوب ، فمن لوازم الكتب الهندية الشعبية قولها : « لا تفعل ذلك

وإلا أصابك ما أصاب فلاناً » فيسأل السامع : « وكيف ذلك ؟ » فيجيب القاص برواية القصة ، وهذا الأسلوب نفسه مستعمل في ألف ليلة وليلة ، وقولهم « وكيف ذلك ؟ » في بداية القصة ترجمة حرفية للعبارة السنسكريتية « كاتهام إتات » ، ونحن نميل إلى افتراض أن هذه العبارة بالذات موجودة في هزار أفسانه كما توجد أيضاً في الأصل الهندي الذي أخذ عنه هذا الكتاب .

فالقصص التي في أوائل جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة من كتاب ألف ليلة وليلة ـ كقصص التاجر مع العفريت ، والبنات مع الحمال ، والصعاليك الثلاثة ، والأحدب ـ كلها شاهدة على الطريقة التي يقوم بها الكتاب على هيكل ، لأن فيها السمات التي تذكرنا بالقصص الهندية القديمة ، ومن تلك السمات الحيلة التي لجأ إليها الصياد في إعادة العفريت إلى القمقم بعد أن كان قد أطلق سراحه ، فهي مشابهة للترجمة المغولية لقصة « سمهه سندفتر مساتي » أي قصة « أرجي برجي خان » ومشابهة لقصة أهل الجنوب

المعروفة بـ « پنچه تنتره » التي ترجمها ديبوا Dubois .

ومن السمات التي تذكرنا بالقصص الهندية أيضاً الصراع بين الثعبان الأبيض والثعبان الأسود وكلاهما عفريت ، فإننا نجد له شبهاً في قصص التتار التي من أصل هندي ، وليست من أصل إسلامي كما ذهب إلى ذلك ناشرها بافيه ده كورتاي Pavet de Courteille وكذلك الصراع بين العفريت والأميرة الساحرة ، إذ إن له شبهاً قوياً بالترجمة المغولية لقصة « وتله پنچه ومساتي » ومنها أيضاً قصة الملك والحكيم دوبان[1] ، وكيف قتل هذا الحكيم الملك بكتاب دهنت أوراقه بالسم ، فتلك عادة شائعة بين الهنود وهناك من جهة أخرى تشابه في الملامح بين عدد من الحكايات الأولى من كتاب ألف ليلة وليلة يجعلنا لا نسلم بسهولة بأن هذه الحكايات كانت في الأصل متفرقة على الصورة التي وصلت إلينا ، بل من الراجح أن تكون كل حكاية من هذه الحكايات المأخوذة من هزار أفسانه قد أصابها تغيير كبير فيما بعد .

---

(١) رويان في قراءة أخرى .

والحكايات الأخرى التي لا شك في أصلها الهندي الفارسي هي :

١ ـ حكاية الحصان المسحور ، فقد وردت بها أسماء فارسية مثل سابور ، وأعياد فارسية مثل النيروز والمهرجان . ويمكننا أن نرد الفكرة التي تقوم عليها هذه الحكاية إلى قصة « پنچه تنتره » (انظر Benfey ، كتابه المذكور آنفاً ، جـ ١ ، ص ١٦١) .

٢ ـ حكاية حسن البصري .

وأهم ما في هذه القصة سرقة الريش ، والحيلة التي تغلب بها بطل القصة على الرجال الذين كانوا يتنازعون الميراث وتوسل بها إلى استرجاع محبوبته الهاربة . وهاتان السمتان من أصل هندي ، ثم ذاعتا بعد ذلك في الشرق .

وصدر قصة حسن البصري والجزء الأكبر منها يتردد ثانية في كتاب ألف ليلة وليلة في حكاية جان شاه المتداخلة في حكاية حاسب كريم الدين وملكة الحيات ، وهي حكاية ربما امتزج أصلها بعناصر

يهودية . أما حكاية جان شاه فقد كتبت على نسق قصة أقدم منها ولكنها ضعيفة من الناحية الفنية . ومن الغريب أن قصة حاسب كريم الدين نسبها إلى هزار أفسانه أحد الكتّاب في مقال نشره بمجلة أدنبره في حين أنه ينكر إنكاراً باتّاً أن ألف ليلة وليلة له أصل فارسي .

وإذا نحن لم نعوّل كثيراً على المقاييس الجمالية البحتة فإننا نستطيع أن نقول في كثير من الثقة إن هذه الحكاية بما فيها من تهويل سخيف وتكرار ممجوج لم تقتبس من نفس المصدر الذي أخذت منه الحكايات المحبوكة الجيدة السبك مثل حكاية الحصان الأبنوس وحسن البصري وغيرهما .

٣ ـ وحكاية سيف الملوك هي الحكاية الوحيدة في كتاب ألف ليلة وليلة التي نجد في الفارسية حكاية كاملة تقابلها تمام المقابلة . وقد ذكر لين Lane المخطوطات الفارسية التي توجد فيها هذه الحكاية .

٤ ـ حكاية قمر الزمان والأميرة بدور .

٥ ـ حكاية الأمير بدر والأميرة جوهر السمندلية .

٦ ـ حكاية أردشير وحياة النفوس ، ونجد هذه الحكاية أيضاً بشكل آخر في مخطوطات ألف ليلة وليلة ، نجدها في حكاية عمر بن النعمان . وبالرغم مما قرره تسيبولد فإني أرى أنها إضافة متأخرة إلى هيكل كتاب ألف ليلة وليلة . ونجد هذه الحكاية أيضاً في حكاية تاج الملوك والأميرة دنيا التي تطابق حكاية أردشير وحياة النفوس مطابقة تكاد تكون حرفية .

ولسنا نستطيع أن نقطع بوجود صلة بين حكاية علي شير وبين الأصل الفارسي ، فإن هذه الحكاية تتفق في كثير مما ورد فيها مع حكاية نور الدين علي وذات الزنار التي نرجح أنها متأخرة عنها . وحكاية نور الدين هذه تجدها أيضاً في ألف ليلة وليلة . ولا نستطيع أيضاً أن نقرر وجود صلة بين الأصل الفارسي وبين حكايتي الأخوات الغيورات وأحمد وپاري بانو ؛ وهاتان الحكايتان لا نجدهما إلا في ترجمة كلاّن Galland لكتاب ألف ليلة وليلة .

وعلى هذا فإن هذه القصص التي أخذت من كتاب هزار أفسانه هي التي تكونت منها نواة كتاب ألف ليلة

وليلـة ثم تجمعـت حول هذه النـواة في أراض عربية طبقات مختلفة من الحكايات .

وأول طبقة من هذه الطبقات بغـدادية يتـردد فيهـا اسم هارون الـرشيد ؛ وبعض حكايات هذه الطبقـة من وحي الخيال ، والبعض الآخر عبـارة عن حوادث تاريخية زيد فيها وأعيدت صياغتهـا مثـل حكاية أبـي الحسن أو النائم اليقظان التي نجد أصلها التاريخي فيما رواه الإسحاقي (Lane : كتابـه المذكور ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦) وكذلك نجد أن كثيراً من الحكايات التي ذاعت عن أبـي نواس وأبـي دلامـة قد أصبحـت من الروايات الأدبية .

ويجب ألا ننسى أن اسم الرشيد كان قد أصبح منذ وقـت قديم رمـزاً للعصر الذهبـي الغابـر تُفعـل فيه الأعاجيب وتحـاك حولـه الأساطـير . وعلى هذا فمـن الخطأ أن نكتفي بورود اسمه في حكاية من الحكايات فننسبها إلى هذه الطبقة . وفي مثل هذه الحالة يجب أن يكون اعتمادنا على المقاييس الداخلية .

وإذا صرفنـا النظـر بطبيعـة الحـال عن كثـير من

التفصيلات التي لا بد أن تظل موضع الشك فإنا نستطيع أن نقول بصفة عامة إن الأقاصيص الهيّنة الجيدة السبك التي تمثل حياة الطبقة الوسطى وتقوم على مشكلة من مشكلات الحب ويكون حلها على يد الخليفة هي من الطبقة البغدادية ، أما حكايات الصعاليك وحكايات الجن ـ وهذه في الغالب ضعيفة الأسلوب ـ فهي من طبقة مصرية متأخرة .

ومما يجدر ذكره أن الجن في الحكايات الهندية والفارسية القديمة يفعلون ما يفعلون من تلقاء أنفسهم ، أما الجن في القصص المتأخرة فيخضعون دائماً لطلسم أو لغيره . وعلى هذا فإن صاحب الطلسم هو الذي يسيطر على مجرى الأمور دون الجن والعفاريت .

أما الحكايات البغدادية فليس للسحر دخل فيها . وقد بيّن نولدكه أن حكايات الصعاليك فيها عنصر مصري خالص . والمثل القديم على هذا النوع هو القصة المشهورة التي رواها هيرودوتس عن كنز الملك راميسينيت Rhampsinit فإنا نجد شبهاً طريفاً لجزء من

هذه القصة فيما حكاه المقدمون الثمانية للسلطان بيبرس في كتاب ألف ليلة وليلة . ونحن نرجح ما حاول أن يثبته شوفان من أن الجزء الأخير من الطبقة المصرية بما فيه من حكايات مبتذلة عن السحر من وضع يهودي مصري . وحكايات هذه الطبقة المتأخرة هي أضعف ما في الكتاب من الوجهة الجمالية .

وفوق هذه الطبقات الأربع التي سبق أن بيّنا أنه لا يمكن تمييز بعضها عن بعض بالدقة ، اشتمل كتاب ألف ليلة وليلة على عدد من القصص الكبيرة والأقاصيص الصغيرة . وهذه القصص الكبيرة ترد كل واحدة منها في نسخة دون الأخرى . ويظهر أنها أضيفت إلى الكتاب لا لشيء إلا ليبلغ عدد الليالي التي دَلَّ عليها اسمه . من هذه الحكايات حكاية الوزراء السبعة وهي من أصل هندي مستقل والحكايات التي نسجت على منوالها « مثل حكاية الوزراء العشرة وحكاية الوزراء الأربعين وحكاية جليعاد وشماس .

أما نسبة حكايات السندباد البحري إلى كتاب ألف ليلة وليلة فمحل بحث . ويظهر أنها وضعت في عهد

بلغــت فيه بغــداد والبصرة غاية ما وصلتــا إليه من ازدهار . وربما كانت هذه الحكايات في الأصل كتابـاً قائماً بذاته .

ومن الحقائق المعروفة أن ثمة بعض حكايات مصرية قديمة جدّاً وحـكايات يونـانية ، والحـكايات اليونـانية تشبه حكاية السندباد في مادتها .

وهناك حكايات لم تكن في أصل كتاب ألف ليلـة وليلة مثل الحكاية الطويلة التـي تتحـدث عن فروسية عمـر بن النعمان وولـديه ، وحـكاية شول وشمــول وحكايتــين تعليميتــين تختلف كل واحــدة منهما عن الأخرى اختلافاً بيّناً وهما حكاية الحكيم هيكر ، وهي يهودية الأصل ، وحكاية الجارية تَوَدّد التي أصبحت فيما بعد كتاباً يقبل الشباب في أسبانيا على قراءته ، واسمه La Donzella Teodor, Tudur ، وتيودور أو تدور تصحيف لكلمة تودُّد من السهل إيضاحه بالاعتماد على فن الكتابات القديمة .

والإضافات الأخيرة التي أضيفت إلى هذا الكتـاب

الضخم حدثت في مصر ، والراجح أن ذلك كان في أواخر عهد المماليك ، ولعلها وضعت في القاهرة لكثرة ورود أسماء صحيحة لأماكن فيها . وهذا الرأي يمكن استنتاجه أيضاً من لغة هذا الجزء ، فهي تشبه اللغة العربية في عصورها المتأخرة وتقرب في كثير من الوجوه من اللغة المصرية الدارجة .

على أن واضعي هذا الجزء لم يوفقوا تماماً في محو الفروق الأصلية البارزة بين أسلوب الجزء الأصلي وأسلوب ما أضافوه إليه ، وكذلك تختلف النسخ المختلفة اختلافاً بيّناً في هذا الصدد . وقد حاول شوڤانChauvin في كتابه المذكور آنفاً أن يعين على وجه التدقيق شخصية الرجل الذي وضع الطبقتين المصريتين ، وهو يرى أنه يهودي دان بالإسلام ، ولكنا نرى أن عدد الكتاب والقُصاص الذين اشتركوا في إعادة صوغ ألف ليلة وليلة في عصور متعاقبة كانوا من الكثرة بحيث أن الكشف عن عمل كل مؤلف منهم على حدة أصبح من الأمور المعقدة التي لا يجرؤ كاتب على التعرض لحلها .

وقد جاء في الفقرة التي ذكرناها عن المسعـودي أن الكتاب الفارسي هزار أفسانه الذي ترجم إلى العـربية ترجمة حرفية معناه ألف خرافة وأنه سمي بدل ذلك ألف ليلة . أما اسم ألف ليلة وليلة الذي أطلق من بعد على الكتاب فيرجع إلى أن العرب ـ كغيرهـم من الشرقيين بصفة عامة ـ يتطيرون من الأعداد الزوجية كما سبق أن بين ذلك كَلدميستر Gildmeister . وربما كان لميلهـم المألوف إلى نوع من التسجيع في تسمية الكتب دخـل أيضاً في تغيير اسم الكتاب . وكما أن الكتاب الفارسي هزار أفسانه لم يشتمل بالدقة على ألف خرافة ، وهذه التسمية العددية إنما قصد بها عدد كبير من الحـكايات غير معيَّن ، كذلك الحـكايات التـي وردت في كتـاب ألف ليلة وليلة لم تكن في الأصل مقسمة إلى ألف ليلة وليلة وإنما وُضع هذا التقسيم في العصـور المتأخـرة . وهذا يبدو جليّاً من اختلاف النسخ في هذا الموضـوع اختلافاً كبيراً . ولقد كانت الرغبة في إكمال عدد الليالي في الكتـاب هي الباعـث إلى الـزيادات الكثـيرة التـي أدخلت عليه . أضف إلى هذا أن شهرة اسـم كتـاب

ألف ليلة وليلة جعلت النساخ يميلون إلى أن يضيفوا إلى ما اشتملت عليه المخطوطات كل ما هو دخيل وعجيب . وأحسن مثل على هذه المخطوطات مخطوط باريس رقم ١٧٢٨ .

ويشتمل الجانب الأكبر من حكايات ألف ليلة وليلة على شواهد شعرية تطول أحياناً وتقصر أحياناً ، وتتميز الطبقة البغدادية بكثرة ما يرد فيها من الأشعار .

والطريقة المتبعة في الكتاب هي وضع هذه الشواهد على لسان المتحدث ، وذلك في جميع الفقرات التي يريد القاص فيها أن يعبر عن عاطفة قوية سواء أكانت عاطفة حزن أم سرور ، فيجعل المتحدث يستهل كلامه بالشعر . وهذه الأشعار في أغلب الحالات ليست بوجه من الوجوه أداة لاستمرار الحديث ، ولكنها ـ كالأشعار التي ترد في القصص التمثيلية الهندية ـ عبارة عن مواضع للتوقف تفيض أحياناً بالحكم والتأملات . وفي هذا دليل كافٍ على أن هذه الأشعار ليست قديمة قدم بقية المتن ، وإنما أضيفت إليه في وقت متأخر . ويعزز هذا الاستنتاج تكرار ورود

هذه الشواهد بعينها في مواضع متشابهة ، وربما عززه أيضاً ذكر كثير من الأشعار المختلفة التي تؤدي المعنى نفسه ، والوصل بينها بالعبارة المشهورة « وقال أيضاً في المعنى » . وهناك أمثلة كثيرة من الأشعار التي تبدو سخيفة على لسان المتحدث إما لخطأ فيها أو لأنها نابية عن موضعها . ولم يذكر اسم الشاعر صاحب الأبيات المقتبسة إلا في حالات نادرة . والشعراء الذين كثر ذكرهم هم : أبو نواس وابن المعتز وإسحق الموصلي ، أما في أغلب الأحوال فتتردد هذه الصيغة : « وقال الشاعر » . وأغلب الأشعار من تاريخ متأخر ، وهي على وجه العموم أكثر وضوحاً وبساطة من الشعر العربي القديم .

وتنقسم مخطوطات ألف ليلة وليلة إلى ثلاث مجموعات مختلفة كما بين بروكلمان نقلاً عن زوتنبرغ :

المجموعة الأولى آسيوية وهي الأقدم . وجميع مخطوطات هذه المجموعة ناقصة إلا واحدة منها ، وتشتمل على الجزء الأول من الكتاب فقط ، ثم مجموعتان مصريتان متأخرتان .

والاختلاف بين هذه المخطوطات كبير جداً ، وإن كان في نسخ مخطوطات المجموعة الأولى أقل أهمية .

وقد أعطانا بروكلمان ثبتاً بطبعات هذا الكتاب وترجماته إلى اللغات الأوربية . وأكمل كريمسكي Krymski هذا الثبت وتوسع فيه في مقدمته للترجمة الروسية لبحث أويسترپ وذكر شوڤان مصادر كثيرة في كتابه (Bibliographie des ouvrages Araebes ، جـ ٤ ، ص ١٢ - ١٢٠) .

وأكمل ترجمات هذا الكتاب وأدقها ترجمة برتون Burton إلى الإنكليزية والترجمة الفرنسية التي قام بها ماردروس Mardrus (باريس سنة ١٨٩٩ وبعد ذلك) .

وما زالت طبعة بولاق العربية التي صدرت عام ١٢٥١ هـ أحسن الطبعات - وهي في مجلدين - وإن كانت الطبعة المصرية الأخيرة التي طبعت في القاهرة في أربعة مجلدات أصغر حجماً وأسهل تداولاً لأنها طبعت عدة مرات .

[أويسترپ J. Oestrup]

ألف ليلة وليلة : ظهر كتاب ألف ليلة وليلة لأول مرة في أوربا في الترجمة الفرنسية التي قام بها أنطوان كَلاَّن Antoine Galland (سنة ١٦٤٦ - ١٧١٥) وسماها Les Mille et une nuit وصدرت في اثني عشر مجلداً (باريس سنة ١٧٠٤ - ١٧١٧) . وقد ظهر منها قبيل عام ١٧٠٦ سبعة مجلدات ، وظهر المجلد الثامن سنة ١٧٠٩ ، والمجلدان التاسع والعاشر سنة ١٧١٢ ، والحادي عشر والثاني عشر سنة ١٧١٧ أي بعد وفاة كلاَّن بعامين .

وكان البطء في ظهور المجلدات الأخيرة راجعاً إلى الصعوبات التي لاقاها كَلاَّن في الحصول على مادة الكتاب الذي يترجمه ، وإلى أنه لم يكن يهتم كثيراً بهذه الناحية من نواحي عمله العلمي .

كان كَلاَّن قَصاصاً موهوباً بصيراً بالقصة الجيدة بارعاً في إعادة روايتها ، وأدَّى هذا إلى نجاح ترجمته . وكان موفقاً أيضاً من ناحية المادة التي وقعت في يده . وقد بدأ بترجمة قصة السندباد البحري من مخطوط أصله

غـير محقـق ثم عرف أنهـا جزء من مجموعـة كبـيرة من الحكايات اسمها ألف ليلة وليلة . وأسعده التوفيق إلى حد عجيب بعد ذلك بأن جاءه من الشام نسخة خطية لهذا الكتاب في أربعـة مجلـدات ، هي أقـدم النسـخ المعروفة وتشتمل على أحسن ما بقي من متن الكتاب . وما زالت المجلـدات الثلاثـة الأولى من هذه النسخـة الخطية محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس . أما المجلد الرابع فكان مصيره الضياع .

واستنفد كَلاّن هذه المجلدات الثلاثة الأولى ـ التي لا تزال في متناولنا حتى الآن ـ في المجلـدات السبعـة الأولى من ترجمته ، ثم أضاف إليها حكايات السندباد وقمر الزمان ، أخذها عن نسخ مخطوطـة غـير محققـة الأصل .

ووقف كَلاّن عند هذا الحد ثلاث سنوات لنفاد المادة التي يعتمد عليها في الترجمة ، إلى أن اضطره ناشر كتبه إلى استئناف العمل وذلك بأن نشر دون إذنـه المجلـد الثامن الذي يشتمل على حكاية غانم التي ترجمها كَلاّن عن مخطوط لا يعرف أصله وعلى حكايتي زين الأصنام

وخـداداد اللتـين ترجمهما پتـي ده لاكروا de la Croix Pétis لنشرهما في كتـاب ألف يوم ويوم Mille et un jour ، ثم لم يجد كَلاّن ما يترجمه بعد ذلك فتوقف للمرة الثانية . وكان قد أخذه الكلال والسأم من هذا العمل كله .

ولكن حدث سنـة ١٧٠٩ أن صادف كَلاّن مارونّيا من حلب اسمه حنا ، كان قد جاء به إلى پاريس پول لوكا Paul Lucas ، فأدرك في الحال أنه لقـي قصّاصـاً لأحسن القصص . وأخذ حنا يحـكي لكَلاّن حكايات عربية وهو يكتب خلاصات لبعضها في يومياتـه . ثم أعطاه حنا بعض هذه الحكايات مكتوبة ، وبهذا أكمل كَلاّن مجلداته الأربعة الأخيرة . وقـد ذكر في يومياتـه تفصيلات وافية عن هذا الموضوع .

واختفت مخطوطات حنا ، ولكن منـذ ذلك العهـد ظهر مخطوطان لحكاية علاء الدين ومخطوط لحكاية علي بابا . وهذا هو أصل الليالي التي عرفتها أوربا والتي لا يزال أغلب قرائها في الترجمة الفـرنسية وفي الترجمـات الكثيرة التي نقلت عنها يعرفونها باسم الليالي العربية ،

وإذا أردت زيادة في البيان فارجع في ذلك إلى :

(Hermann Zotenberg Historie d'Ala AL-Din ou la lampe Merveilleuse, Notices et extraits des Manuscrits de la Bib – ١٨٨٧ باريس سنة = liotheque du roi ، باريس سنة ١٨٨×، جـ ٢٨ ، عدد ١، ص ١٦٧ - ٣٢٠) وفيه أيضاً دراسة وافية لمخطوط من مخطوطات كتاب ألف ليلة وليلة ولما كتبه كَلاّن في يومياته ؛ وإلى فكتور شوفان .

وظلت أوربا أكثر من قرن تعتبر أن الليالي هي ترجمة كَلاّن ، ولحسن الحظ أنه كان موفقاً في مصدرَيه : المصدر المخطوط والمصدر المروي .

ولكن ظهرت في الوقت نفسه مخطوطات أخرى تتصل بالليالي عن قرب أو بعد ، وقد ترجم منها ونشر عدة ملحقات لترجمة كَلاّن . وكما أن مخطوطات الليالي نفسها قد عظم بينها الاختلاف فيما اشتملت عليه من الحكايات ، كذلك كان النقَلة على استعداد لإدماج أية حكاية عربية في كتاب ألف ليلة وليلة . وقد أصبح الموضوع كله - لعدم وجود أصل ثابت ومتن معتمد - يحيط به الشك والزيف .

والملحقات الآتية ـ التي نشرت أحياناً على انفراد وأحياناً متصلة بطبعات كَلاَّن ـ لها شأن في ذاتها ، وباعتبار أنها تمثل اهتمام ذلك العصر بهذا الكتاب . وإذا أردت زيادة في البيان فارجع إلى شوڤان (المصدر المذكور ، جـ ٤ ، ص ٨٢ ـ ١٢٠) .

ففي سنة ١٧٨٨ ظهرت سلسلة من الحكايات العربية ملحقة بكتاب Cabinet des Fées ، ص ٣٨ ـ ٤١ ، نقلها إلى الفرنسية دنيس شاڤيس Denis Chavis ، وهو كاهن سوري جاء به من رومة إلى پاريس البارون ده بريتاي Baron de Breteuil بناء على تكليف الحكومة الفرنسية ، وصقل كازوت Cazotte ترجمته الفرنسية .

وكان الفضل لشاڤيس هذا في حصولنا أيضاً على مخطوطين لحكاية علاء الدين . وبفضل اهتمام الناس في ذلك الوقت بموضوع الليالي كله ظهرت ما بين سنة ١٧٩٢ وسنة ١٧٩٤ ثلاث ترجمات إنكليزية لهذا الملحق الذي ترجمه شاڤيس وصقله كازوت .

وفي سنة ١٧٩٥ م . نشر وليام بيلو William Beloe

في الجــزء الثالــث من كتابــه Miscellanies بعض الحكايات العربية التي حكى له ترجمتهـا باتـرك رسـل Patrick Russell مؤلف كتــاب history of Aleppo The Natural الذي نشر عام ١٧٩٤ .

وفي سنــة ١٨٠٠ ترجــم جوناثــان سكوت Jonathan Scott في كتابــه Tales ,Anecdotes and Letters بعض الحكايات عن مخطوط لكتاب ألف ليلة جاء به من الهنــد جيمس أندرســون Anderson .James

وكان وليام أوزلي William Ousley قد نشر شواهد كثيرة من هذا المخطوط بين سنة ١٧٩٧ وسنة ١٧٩٨ في كتابه Oriental Collections . وفي سنــة ١٨١١ نشر ترجمة إنكليزية لكتاب كَلاّن وأضاف اليها مجلداً ثالثـاً يشتمــل على حكايات جديدة أخذهــا عن مخطــوط Wortley Montague .

وكان كوسان ده پرسيڤال Caussin de Perceval قد أضاف سنة ١٨٠٦ جزءين من ملحقه وهما المجلـدان الثامـن والتاسـع إلى الطبعـة التـي أصدرهـا لكتــاب

كَلاّن . وفي هذين المجلدين نشر ترجمة أدق للمخطوط الـذي اشتمـل على الحـكايات التـي ترجمهـا شافيس وصقلها كازوت Cazotte .

أما إدوار كَوتييه Edouard Gauttier فقد ذهب أبعد من هذا في الطبعة المعتمدة التي أصدرها لكتاب كَلاّن بـين سنـة ١٨٢٢ وسنـة ١٨٢٣ ، فإنـه ـ إلى جانـب المجلـدين الســادس والسابــع اللــذين اشتمــلا على حكايات جديدة أخذت من مصادر جمة ـ أطلق يده في كتاب كَلاّن وأضاف إليه حكايات أخرى .

أما الملحق الذي أصدره فون هامر Von Hammer فقد امتاز بأسانيد أمكن ، كما امتاز بدقة التحري في اختيار الحـكايات . حصـل فون هامـر في مصر على مخطوط لمتن الكتاب عرف باسم « نص زوتنبـرغ » ، وقد أصبـح هذا النص ـ بفضـل طبعـه عدة مرات ـ النص المعتبر لكتاب ألف ليلة وليلة . وترجم فون هامر من هذا النص إلى الفرنسية بعض الحكايات التـي لم ترد في كتـاب كَلاّن . ولـكن هذه الترجمـة الفــرنسية

ضاعت ولم يبق لنا منها إلا ما نقله عنهـا تسنسرلنـك Zinserling إلى الألمانية وأصدره في ثلاثة مجلـدات عام ١٨٢٣ ، والترجمة الإنكليزية لكتاب تسنسرلنك التـي قام بهـا لام Lamb وأصدرهـا في ثلاثـة مجلــدات عام ١٨٢٦ ، ثم ترجمة فرنسية لهذا الكتاب أيضـاً قام بهـا تريبيتيان Trébutien وأصدرها في ثلاثـة مجلـدات عام ١٨٢٨ .

وفي عام ١٨٢٥ أصدر هابشت Habicht في برسلاو كتاب ألف ليلة في خمسة عشر مجلداً زاعماً أن كتابه ترجمة جديدة لليالي ، ولكنه كان في الواقع عبارة عن كتاب كَلاّن مضافـاً إليه ملحقـات كوسـان Caussin وكَوتييه Gauttier وسكوت Scott وخاتمة قيل إنها أخـذت عن مخطوط تونسي .

وفي العام نفسه بدأ هابشت في إصدار النص العربي الذي سنتبسط في الحديث عنه . واعتمد ڤايل Weil على هذا النص ، وبـدأ يترجـه ترجمـة جديدة صدرت في أربعة مجلدات بين سنة ١٨٣٧ وسنة ١٨٤١ . ولكن

بطء هابشت في إصدار النص العربي وما كان يلقاه من متاعب مع ناشر كتبه ، كل ذلك دفع ڤايل Weil إلى أن يعتمد على كتاب كَلاّن في إتمام الترجمة التي كان يقـوم بها ، وأخذ ڤايل بعض الحكايات أيضاً من مخطوطات كوتا Gotha ، غير أنه لم يرض عن كتابه إلا عنـدما أصدره للمرة الثالثـة بـين سنـة ١٨٦٦ وسنـة ١٨٦٧ معتمداً على طبعة هابشت وطبعة بولاق .

وفي هذه الأثناء كان الجدل قد احتدم حول أصـل كتاب ألف ليلة وتاريخـه ، وكان هذا الجـدل يشوبـه العنف في بعض الأحيان .

كان فون شليگل A.W. Von Schlegel العالـم في اللغة السنسكريتية يقـول إن كتـاب ألف ليلـة أصلـه هندي . ولا يذهب أحد الآن هذا المذهب . لأنه قد تبين أن حكايات هذا الكتاب لها أصلان : أصل عربي وأصل فارسي . هذا إلى أنها تشتمـل على موضوعـات مأثورات شعبية شائعة بين الأمم . أمـا نواة الكتـاب وحدها فقد ثبت أنها من أصل هنـدي قديم ، أثبـت ذلك كوسكان وپرزيلسكي J. Przyluski .

وانتقلت هذه النواة إلى الأساطير الشعبية الفارسية ، وتأثر بها كتاب إستر ، وأصبحت نواة لكتاب الليالي الفارسية . وانتقلت هذه الحكاية في صورة أخرى قائمة بذاتها إلى شمالي إفريقية وأصبحت أصلاً لمجموعة من الحكايات العربية اسمها « مئة ليلة وليلة » . وقد تبسطت في الكلام على هذا الموضوع في مقالي الذي نُشر تحت عنوان of the Arab. nights Earlier Hist. في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية Society Journal of the Royal Asiatic عدد يولية سنة ١٩٢٤ ، ص ٣٥٥ وما بعدها .

ولكن النواحي الجوهرية في هذه المناقشات الأولى حول ألف ليلة وليلة قد تناولها ده ساسي وفون هامر . أما ده ساسي فلم يكن موفقاً في موقفه ، فقد طغى عليه ما لاحظه على مخطوطات الكتاب من طابع مصر في عصورها الوسطى حتى غاب عنه أن للكتاب تاريخاً سابقاً طويلاً يرجع به إلى بلاد الفرس . ولهذا لم يأت ده ساسي في الواقع بشيء جديد .

أما فون هامر فقد أخرج إلى النور أهم روايتين

تتحدثان عن التاريخ القديم لكتاب ألف ليلة وليلة : مثل رواية المسعودي في مروج الذهب ورواية الفهرست . وقد تبسط شوفان Chauvin في الكلام على الخلاف في أصل الكتاب في الجزء الرابع من كتابه ، ص ١ وما بعدها .

وقد بُدىء أيضاً في طبع النص العربي في أوربا وفي الشرق . فبينما كان وليم جونز William Jones في أكسفورد حصل من صديق له من العلماء في حلب على مخطوط غير كامل ضاع الآن ، إلا أنه يشبه كل الشبه مخطوط كَلاّن ، وقد طبع جون رتشاردسون John Richardson أجزاء من هذا المخطوط في كتابه « الأجرومية العربية « The Arabic Grammer » ، الذي أصدره عام ١٧٦٧ ، ثم استخرج جوزيف هويت Joseph White صورة شمسية للمخطوط كله وطبع نموذجاً منه .

وجاء باتريك رسل Patrick Russell من حلب بمخطوط آخر للكتاب في مجلدين وهو غير كامل إلا أنه

يشبه أيضاً مخطوط كَلاّن ويكاد يساويه في الحجم . والجزء الأول من هذا المخطوط محفوظ الآن في مكتبة جون ريلاندز « John Rylands Library » . وكتب باتريك رسل عن مكانة الليالي في كتابه Natural History of Aleppo ، الذي أصدره عام ١٧٩٤ ، كما نشر خطاباً طويلاً في مجلة جنتلمان Centleman's Magazine عدد فبراير سنة ١٧٩٩ يصف فيه مخطوطه وكانت هذه المجلة حينذاك قد أخذت تنشر منذ عامين رسائل في موضوع ألف ليلة وليلة .

والحديث عن مخطوط باتريك رسل يجرنا بطبيعة الحال إلى الكلام عن أول سعي لطبع الكتاب بنصه العربي . لأنه لا شك في أن النسخة التي سميت « طبعة كلكتة الأولى » للمائتي ليلة (طبعة كلكتة في مجلدين عام ١٨١٤ وعام ١٨١٨ ، ثم أعيد طبعها على الحجر عام ١٨٢٩) ليس من شك في أن هذه النسخة مأخوذة مع شيء كثير من التصرف من مخطوط باتريك . وقد تحدثت عن المشكلة البالغة التعقيد الخاصة بأصل هذه النسخة في مقالي :

Classification of some MSS of the Arabian Nights

الذي نشر في كتاب E.G. Browne ص ٣٠٧ ، ٣١٣ وما بعدها .

وهناك جزء من طبعة كلكتة مأخوذ من كتاب لانجلس « L. Langels » الذي سماه Les Voyages des Sind -Badh le Marin et la Rues des Femmes وطبعه في باريس سنة ١٨١٣ ملحقاً بكتاب آجرومية اللغة العربية « Grammaire de la langue Arabe » الذي ألفه سافاري « Savary » ، ثم طبعه مرة أخرى منفصلاً في سنة ١٨١٤ .

وترجم راسموسن J.L. Rasmussen طبعة كلكتة الأولى إلى اللغة الدنماركية ، وأصدر ترجمته بكوبنهاغن في أربعة مجلدات عام ١٨٢٤ .

وثانية المحاولات لطبع النص العربي كانت على يد مكسمليان هابشت Maximilian Habicht . فقد أخرج في برسلاو ثمانية مجلدات من كتاب ألف ليلة وليلة بين سنة ١٨٢٥ وسنة ١٨٣٨ . ثم أصدر فليشر Fleischer المجلدات الأربعة الباقية بين سنة ١٨٤٢

وسنة ١٨٤٣ . ومن العسير أن نتلطف في القول عند الكلام عن هذه الطبعة ، فإن فليشر قد خلق عامداً أسطورة أدبية ، وأصاب بالاضطراب العظيم تاريخ كتاب ألف ليلة ؛ ذلك أنه سجل على صفحة العنوان من كتابه أنه نقله عن مخطوط تونسي aus Tunis Nach einer Handschrift » ، ولم يكن هذا صحيحاً ، فلم يكن يملك مخطوطاً تونسياً ، وليس هناك أي دليل على أن تونس قد وجد بها حقّاً مخطوط لكتاب ألف ليلة .

ووقف هابشت على كثير من القصص العربي ، جاءه من مصادر مختلفة ، فنسج منه متناً جديداً لكتاب ألف ليلة ، ناهجاً في الكثير الطريق نفسه الذي نهجه في الترجمة التي تحدثنا عنها من قبل . وخير ما نستطيع أن نقوله فيه هو أنه طبع مخطوطاته على أصلها دون أن يعنى بتصحيحها أية عناية ، فجاء كتابه غثّاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

أما جّل الطبعات الأخرى فقد أصلحها طائفة من الشيوخ وصححوا لغتها . وأهم الحكايات الواردة في

طبعة هابشت أخذت بطريقة غير مباشرة من مخطوط كَلاّن Galland ، وقد تبسطت في الكلام عن هذا في مقالي الذي نشرته عن كتاب هابشت في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، الصادرة في يوليه سنة ١٩٠٩ ، ص ٦٨٥ ـ ٧٠٤ ، وفي مقالي « Classification » الذي أشرت إليه آنفاً .

أما جميع النصوص العربية الأخرى فقد أخذت عن النص المصري الحديث جدّاً . والفضل في تحقيق هذا يرجع إلى زوتنبرغ الذي وصل إلى هذا الرأي بعد دراسة جميع المخطوطات التي كانت موجودة واستطاع الحصول عليها وموازنتها بالمخطوط المصري .

وهناك دليل آخر ظاهري يؤيد هذا الرأي ، ففي شهر يولية سنة ١٨٠٧ كان سيتزن Seetzen في القاهرة ، وكتب في يومياته يقول : إن أسّلان Asselin كشف أن مخطوطات ألف ليلة وليلة المتداولة في مصر قد جمعها واحد من الشيوخ وأن هذا الشيخ توفي منذ ٢٦ عاماً . ولسوء الحظ ترك أسّلان في يومياته بياضاً مكان اسم هذا الشيخ . ثم أضاف إلى هذا أن

المجموعة الأصلية التي وصلت إلى يد الشيخ كانت تشتمل على مئتي ليلة ، وأنه جمع حكايات بقية الليالي من حكايات متفرقة معروفة ، وذكر أسّلان أنه اعتزم أن يكتب رسالة عن ذلك النص .

ولم يشر زوتنبرغ إلى ما كتبه سيتزن في يومياته ، ويظهر أن أسّلان لم يكتب مقاله أيضاً ، ولكنا نجد في هذه الرواية دليلاً واضحاً يؤيد الرأي الذي ذهب إليه زوتنبرغ ؛ ذلك الرأي الذي أخذت تعززه المخطوطات المرة بعد الأخرى ، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد . وعلى هذا يمكننا أن نقول بثبوت النص المصري الذي كشفه زوتنبرغ . أما الطريقة التي اتبعها ذلك الشيخ المجهول في زيادة عدد الليالي وإطالتها فقد تكلمت عنها في مقالي « Classification of some MSS of the Arabian Nights » الذي أشرت إليه من قبل .

وأول طبعة للمخطوط المصري هي الطبعة المعروفة عادة باسم « طبعة بولاق الأولى » التي صدرت عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) ، أما طبعة بولاق الثانية فقد

صدرت عام ١٢٧٩ هـ . وهاتان الطبعتان عيَّنتا النص المعتبر لكتاب الليالي ، وصدر عنهما كثير من الطبعات الشرقية .

وأخرجت مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت طبعة أخرى للكتاب معتمدة على أحد المخطوطات المصرية بعد أن هذبت عباراته ، وأصدرته في خمسة مجلدات بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٠ . وأرسلت نسخة من المخطوط المصري إلى الهند وطبعها مكناتن W.H. Macnaghten بكلكتة في أربعة مجلدات بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤٢ ، وتسمى هذه الطبعة عادة « طبعة كلكتة » أو « طبعة كلكتة الكاملة » . والمجلد الأول من هذه الطبعة عبارة عن المجلد الأول من طبعة كلكتة الأولى والنص الوارد في طبعة برسلاو بعد أن زيد فيه . وقد أعيد طبع هذه النسخة على الحجر في بومباي وصدرت في أربعة مجلدات عام ١٢٩٧ هـ .

وقد نقلت جميع الترجمات الأحدث من ذلك إلى اللغات الأوربية من النص المصري الذي كشفه زوتنبرغ . وكذلك الجزء الذي ترجمه ڤون هامر إلى

الفرنسية ، والذي أسلفنا الكلام فيه ، أخذ من نسخة من المخطوط المصري الذي اشتراه في مصر ، وكان ذلك في مستهلّ القرن التاسع عشر . وقد فصل فون هامر الكلام عن مخطوطه وغيره من المخطوطات في مقدمته للترجمة الألمانية التي قام بها تسنسرلنك وصدرت في شتوتكَارت وتوبنگن عام ١٨٢٣ . ومن الواضح أن نسخاً كثيرة من المخطوط المصري كانت تباع في مصر في ذلك الوقت .

ثم بدأت في الظهور ترجمة إنكليزية تختلف عن هذه الترجمة كل الاختلاف . وكان قد قام بها هنري تورنس Henry Torrens معتمداً على طبعة مكناتن . وظهر المجلد الأول في كلكتة ولندن عام ١٨٣٨ ، أما مقدمته فقد كتبت في سملا بالهملايا في ٣١ يولية سنة ١٨٣٨ ، واشتمل هذا المجلد على الخمسين الليلة الأولى فقط ، وكانت هذه أول محاولة ـ بعد كَلاّن ـ لإصدار الليالي في ثوب أدبي .

ولما أعلن عن ترجمة لين Lane امتنع تورنس Torrens عن إتمام ترجمته . ولكن جون باين

John Payne كتب يقول : إنه لم يكن ليترجم كتاب ألف ليلة لو أن تورنس أتم الترجمة التي بدأها .

أما ترجمة لين فغير كاملة ، ولكن عليها تعليقات وافية قيمة جدّاً . وقد بدأ ظهورها في أجزاء سنة ١٨٣٩ وتم إخراجها في سنة ١٨٤١ . وهذه الترجمة نقلت عن طبعة بولاق الأولى مع إشارات إلى طبعة برسلاو .

أما الترجمة التي قام بها « پاين » لطبعة مكناتن فكاملة . وقد صدرت في تسعة مجلدات بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٨٨٤ . وفي سنة ١٨٨٤ ظهر من هذه الترجمة ثلاثة مجلدات أخرى تشتمل على حكايات وردت في طبعة برسلاو وفي طبعة كلكتة الأولى .

ثم صدر المجلد الثالث عشر في سنة ١٨٨٩ مشتملاً على حكايتَي علاء الدين وزين الأصنام . وقد طبعت هذه الترجمة عدة طبْعات كاملة منذ توفي « پاين » في سنة ١٩١٦ .

وقد ترجم « سير رتشارد برتون » Burton

Sir Richard طبعة مكناتن . ولكنه اعتمـد كثـيراً على ترجمة « باين » ، بل نقل منها نقلاً حرفيّاً في كثير من الأحيان . وصدرت هذه الترجمة في عشرة مجلـدات ، عام ١٨٨٥ ، ثم ألحق بها ستة مجلدات أخرى صدرت بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٨٨ . وأعيد طبع هذه الترجمة عدة مرات .

وقد تكلم عن الصلة العجيبة بين ترجمة « پـاين » وتـرجمـة « بـرتـون » : « تـومـاس رايـت » Thomas Wright في كتابه عن سـيرة « سـير رتشـارد برتون » Life of Sif Richard Burton الـذي صدر في مجلدين ، بلندن عام ١٩٠٦ ، وكتاب « سـيرة جون باين » Life of John Payme الذي صدر في لندن عام ١٩١٩ .

وقد حاولت المقارنة بين هذه الترجمات الإنكليزية في مقالي On translating the Arabian Nights الـذي نشر في مجلـة Nation الصـادرة في نيويورك بتـاريخ ٣٠ أغسطس و٦ سبتمبر سنة ١٩٠٠ .

وبين سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٧ ظهـر في Reclam :
Universal Bibliothek ٢٤ مجلداً صغيراً لترجمـة ألمانية
قام بها مكس هننك Max Henning عن طبعة بولاق ،
وهـي ترجمـة جيدة مهذبـة العبـارات نوعـاً ، ولكنهـا
اختزلت العدد إلى النصف . وقد اشتملت المجلدات
السبعة عشر الأولى على كتـاب الليالي أمـا المجلـدات
السبعة الباقية ففيها إضافات عدة ، ترجم معظمها من
ترجمة « برتون » .

وفي سنـــة ١٨٩٩ أخـــذ الدكتـــور ماردروس
J.C. Mardrus في ترجمة الكتـاب إلى اللغـة الفـرنسية
مصرحاً بأن ترجمته مأخوذة من طبعة بولاق التي صدرت
في سنة ١٨٣٥ . وقد صدرت ترجمته في ستة عشر مجلداً
ولكنه أدمج فيها حكايات غير حكايات ألف ليلة أخذها
من مصادر مختلفة ولم يكن يتقيد في ترجمته بشيء .

وفوق هذه الترجمات التـي تكلمنـا عنهـا ، ترجـم
« فنسنت بلاسكو إيبانيز » Vincente Blasco Ibanez
الكتاب إلى اللغة الأسبانية وترجمـه « پـوويز ماثـرز »
E. Powyes Mathers إلى اللغة الإنـكليزية ، وهنـاك

ترجمة بولندية ولكنها غير كاملة .

وهناك ترجمة علمية ألمانية تباين هذه الترجمات كل المباينة ، وهي الترجمة التي قام بها إينولتيان Enno Littmann ، وأصدرها بليبسك في سنة مجلدات بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٢٨ . وترجمة ليتمان هذه ترجمة كاملة لطبعة مكناتن استعان فيها بطبعتي مصر وبرسلاو . وفيها أيضاً تذييلات تشمل الحكايات التي زيدت في طبعة كَلاّن ، نقلها ليتمان عن أحسن أصولها الشرقية . وترجمة ليتمان لا تقل عن ترجمة لين Lane وترجمة باين إن لم تكن أعظم قيمة منهما .

ولقد بيّنا من قبل أن زوتنبرغ Zotenberg هو الذي خطا أول خطوةفي كشف تاريخ ألف ليلةعندما عرف النص المصري الحديث وعيّن مخطوطاته بعد أن درس هذه المخطوطات وتناولها بالنقد والتمحيص .

ولما أتم عمله هذا ، ظهر في وضوح أنه إلى جانب المخطوطات الكاملة التي تشتمل على ذلك النص المصري المتأخر ، توجد مخطوطات أخرى كثيرة غير كاملة تمثل الجهود العديدة التي فشل معظمها في

الوصول إلى نصوص كاملة .

ومن الجلي أن أفراداً كثيرين ممن آلت إليهم أجـزاء يشتمـل معظمهـا على عدد قليل من أوائــل الليالي ، جمعوا حكايات مستقلة بعضها إلى بعض وأضافوها إلى ما وصل إليهم من أصل كتاب ألف ليلة بعد أن قسموا هذه الحكايات إلى ليال أيضاً .

ولدينـا أمثلـة على هذه الجهـود في مخطـوط « ورتلي مونتاجـو » Wortley Montague المحفــوظ في مكتبــة بودليانــا Bodleian ومخطـوط « رينهــارت » Reinhardt . المحفوظ في مكتبة جامعـة ستراسبـورغ Strassburg .

أما مخطوط « ورتلي مونتاجو » فيتفق في محتوياته مع مخطوط كَلاّن إلى آخر حكايات الحمّال ، ثم يختلف عنه بعد ذلك اختلافاً بيّناً ، ومع ذلك فهو مخطوط حديث جدّاً ، ويظهر منه أنه لم يكن هناك نص متفق عليه في أواسط القرن الثامن عشر ، ويتفق مخطوط وينهارت مع مخطوط ورتلي مونتاجو في هذا الشأن .

والــذي ينقصنــا الآن هو وصف أقــدم هذه المخطوطات وتناولها بالدرس ، ومحاولة تصنيفهـا مثـل مخطوط كَلاّن ، ومخطوط الڤاتيكان ، وأقدم مخطـوط في مكتبة رايلنـدز Rylands ومخطـوط توبنـگن Tubingen الخ .

ولقد حاولـت هذا في مقـالي Classification الـذي أشرت إليه من قبل ، ثم استوفى دراسة هذا الموضوع دراسة قيمة « رودي باريت » Rudi Paret .

ومع ذلك يوجد إلى جانب المخطوطات التي ورد بها صراحـة أنهـا من كتـاب ألف ليلـة ، عدد عظيم من المخطوطات المستقلة التـي تشتمـل على حكايات ربمـا أضيفت أو لم تضف إلى كتاب ألف ليلة . وأول شيء نقرره في شأن هذه المخطوطات هو أنها كانت مستقلة ، وأن الحكايات التي وردت فيها يجب ألا تعد مستخرجة من كتاب الليالي ، بل العـكس هو الأصـح . وهـذا القول ينطبق أيضاً على مخطوط الحكايات الذي اكتشفه « ريتـر » H. Ritter في الآستانـة ولـم يطبـع بعـد .

ويرجع تاريخ هذا المخطوط إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر ، وفيه خمس حكايات جاءت في النص المصري الذي حققه زوتنبرغ .

وهناك بطبيعة الحال كثير من الكتب الصغيرة الرخيصة التي تشتمل على حكايات متفرقة من كتاب ألف ليلة ، وهذه الحكايات مستخرجة من الكتاب حقاً .

ويتضح لنا من هذه الطريقة التي اتبعت في تكبير الكتاب بالزيادات التي أضيفت إليه أن بعض الحكايات التي يبدو أنها من أصل فارسي أو بغدادي لم تكن بالضرورة واردة في نص بغدادي قديم ، بل ربما تكون قد أضيفت إلى الكتاب في عصر متأخر .

ومن الأسباب التي أدت إلى كثرة الخلط في هذا الموضوع هو أن كثيراً من العلماء توهموا ـ دون أن يتنبهوا لذلك ـ أن النص المصري الذي كشفه زوتنبرغ هو كتاب ألف ليلة ، وأن البحث عن تاريخ هذا الكتاب ينبغي أن يبتدىء بالبحث في ذلك النص . قال ده ساسي De Sacy صراحةً بهذا الرأي الذي أفسد عليه

جهـوده جميعـاً ، وكان كذلك عنصراً من عنـاصر الغموض في تفكير « لين Lane » ، بل هو يبدو أيضاً في قوة ووضوح في المادة التي كتبها ده غويه De Goeje في الطبعة التاسعة والعاشرة والحـادية عشرة من دائـرة المعارف البريطانية (انظر أيضاً De Gids عدد سبتمبر سنة ١٨٨٦) .

على أنه يظهر أن أوغست ميلر August Muller كان رائد القول برأي حر جديد ، يبدو هذا في بحثه الذي كـتبـه إلـى ده غـويـه ونشـره في مجـلـة Bessenberger's Beitrage ، جـ ١٣ ، ص ٢٢٤ - ٢٤٤ » وفي مقـال آخـر أكثـر انتشـاراً نشره في Die deutsche Rundschau ، جـ ١٣ ، ١٠ يولية ١٨٨٧ ، ص ٧٧ - ٩٦ » . وهذان البحثان كُتبا قبل مقال زوتنبرغ .

وهناك فاصل عظيم بين مصادر المأثورات الشعبية التي وردت في نواة القصة الهندية القديمة وبين ما ورد من هذه المأثـورات في النص المصري . ولـكن ربمـا وصل بينها ما ذكره ثلاثـة من المؤرخـين : أمـا أولهـم

فالمسعودي الذي قال في كتابه مروج الذهب (انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ٩٤٧ م ثم أعاد النظر فيه سنة ٩٥٧) حين عرض لأخبار شدّاد بن عاد ومدينته إرَم ذات العماد : « إن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة ، نظمها من تقرَّب من الملوك برواياتها . وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة إلينا من الفارسية والهندية والرومية (وفي رواية أخرى الفهلوية بدل الهندية) مثل كتاب هزار أفسانه . وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) ، والناس يسمون هذا الكتاب « ألف ليلة وليلة » .

وقد وصف المسعودي نواة هذا الكتاب وصفاً يدل على أنه كتاب الليالي الذي عرفناه . ومعنى هذا أن كتاب ألف ليلة الذي كان موجوداً في عصر المسعودي كان يعتبر ترجمة لكتاب قصص فارسي ، غير أنه لا سبيل لنا إلى معرفة الحكايات التي كان يشتمل عليها .

ويذكر لنا نفس هذه المعلومات مع زيادة في البيان والتفصيل كتاب الفهرست الذي ألف حوالى سنة ٩٨٧

م . وقد تكلم صاحب هذا الكتاب عن أول من صنّف الخرافات وجعل لها كتباً ، وصلة ذلك بالأسمار التي كانوا يتسامرون بها إذا جن الليل ، وبيّن أنواعها . ثم أيد كتاب الفهرست أن ألف ليلة أصله فارسي « ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المئتي سمر » . ويقرر أن الكتاب نقل إلى العربية وأنهم صنفوا في معناه ما يشبهه ، ولكن صاحب الفهرست لم يذكر لنا الحكايات التي اشتمل عليها الكتاب وإن كان ما ذكره عن نواته يدل على أن الكتاب هو كتاب ألف ليلة الذي عرفناه .

وفوق هذا لدينا شاهد على أن حكايات الليالي التي وصلت إلينا ـ من مخطوط كَلاّن إلى النص المصري ـ من أصل عربي لاشك فيه وليست من أصل فارسي . ذلك أننا نجد الحكاية الأولى ـ أي حكاية التاجر مع الجني ، تلك الحكاية التي تروي أن ثلاثة قابلوا التاجر مصادفة فأنقذوا حياته من يدَي الجنّي بما حكوه له من حكايات ـ نجد هذه الحكاية يرويها المفضل بن سلمة المتوفى عام ٢٥٠ هـ (٨٦٥ م) في الكتاب الذي صنّفه في الأمثال

وسماه « الفاخر » . وهـذه الحكاية عربية الطـراز ، تمتّ إلى الصحراء بنسب واضح ، وتُباين مباينةً تامـةً الحكاية التي تسبقها مباشرة والتي هي من أصل فارسي ظاهر . ويظهر أن هذه الحكاية العـربية حلـت محـل أخرى فارسية .

والإشارة التاريخية الثانية إلى كتاب ألف ليلة تقول بوجود الكتاب في مصر في عهد الخلفاء الفـاطميين . فقد ذكر ذلك مؤلف اسمه القُرطي ألّف كتاباً في تاريخ مصر على عهد الخليفة العادل الفاطمي (٥٥٥ ـ ٥٦٧ هـ ـ ١١٦٠ ـ ١١٧١ م) .

غير أن القُرطي لم يبين لنا أيضاً الحكايات التي كان يشتمل عليها كتاب ألف ليلة في ذلك العهد ، ولكنه قال فقط : إن الكتاب كان يسمى ألف ليلة وليلـة ، وكان ذائعاً معروفاً .

وإذا أردت زيادة في الايضـاح فارجـع إلى كتابـي Earlier History ، ص ٢٦٢ وما بعدها وإلى الترجمة التي قام بها ليتمان .

والمخطوط الذي نقل عنه كتاب ألف ليلة هو مخطوط كَلاّن ، ويظهــر أن النص المصري الــذي اكتشفــه زوتنبرغ مأخوذ عن نسخة تتمشى مع هذا المخطوط . ولكن لا يمكن أن يكون مخطوط كَلاّن هو نفس كتــاب ألف ليلة الذي كان موجوداً في عصر الفاطميين ، ذلك لأن فيه كثيراً من الإشــارات إلى أمــور تاريخية يرجــع عهدها إلى ما بعد عصر الفاطميين ، فمثــلاً نجــد في حكاية البنات مع الحمال ذكراً لكتاب[1] توفي مؤلفه عام ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) . وورد في حكاية نور الــدين علي وبدر الدين حسن[2] من الإشارات ما جعل وليم بوبر William Pōpper يقرر في بحثــه الــذي نشره في المجلة الاسيوية (عدد ينــاير سنــة ١٩٢٦ ، ص ١ ـ ١٤) أن هذه الحكاية لا يمكن أن تكون قد كتبت قبل عهد الظاهــر بيبــرس (٦٥٠ ـ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م) ، بل يرى أنها كتبت بعد سنة ٧٠٦ هـ .

ومن الواضح أن حكايات الأحدب كتبت بعــد أن

---

(١) الشاطبية في علم القراءات .

(٢) هكذا في الاصل ولعلها حكاية الــوزيرين شمس الــدين ونــور الدين .

استـــولى هولاكو على بغـــداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . وهناك إشارات عن خطط مدينة القاهرة لا يمكن أن تكون قد حدثت قبل سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) ، ويرى الأستاذ پوپـر أن ورود اســم النقيب بركات في هذه الحكاية يجعل تاريخها بعد سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) . وفوق هذا كله ينبغي أن يكون قد مرّ زمن طويل ذاعـت فيه هذه الحـكايات واشتهـرت حتـى أخـذت وأضيفت إلى نسخة من كتاب ألف ليلـة . وعلى هذا فإن مخطوط كَلاّن ليس مخطوطاً لكتاب ألف ليلة الذي عرفه العصر الفاطمي .

ومن ثم يمكننا أن نقول الآن إجمالاً إن ما لدينا من الليالي ـ ونعني بالليالي كل مجموعة من الحكايات التي أضيفت إلى نواة الكتاب ـ هو ما يلي :

أولاً ـ الأصل الفارسي هزار أفسانه ومعنـاه « ألف خرافة » .

ثانيا ـ ترجمة عربية لكتاب هزار أفسانه .

ثالثاً ـ نواة قصة هزار أفسانه وما أضيف إليهـا من

حكايات مقطوع بأنها عربية الأصل .

رابعاً ـ الليالي التي كتبت في عصرٍ فاطمي متأخر والتي يشهد القُرطي بشهرتها .

خامساً ـ نص مخطوط گلاّن ، ويتبين من ملاحظات وردت فيه أن هذا المخطوط كان في طرابلس الشام عام ٩٤٣ هـ(= ١٥٣٦ م) ، وفي حلب عام ١٠٠١ هـ (= ١٥٩٢ م) وربما كان أقدم من هذا ، وقد كتب في مصر . ولم تُحلّ إلى الآن مشكلة الصلة بين هذا المخطوط وغيره من المخطوطات القديمة المستقلة التي أسلفنا الكلام عنها ، ويوجد على الأقل ستة من هذه المخطوطات ينبغي بحثها . وقد وصف نولدكه Noldeke محتويات الليالي التي وردت في النص المصري الذي اكتشفه زوتنبرغ وتناولها بالدرس ، ثم كتب عنها في حياته الطويلة المرة بعد الأخرى .

وكتب عنها أويسترب Oestrup في كتابه Studier الذي أصدره في كوبنهاغن عام ١٨٩١ ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية وزاد فيه وعلق عليه « ريشر »

O. Rescher ونشر هذه الترجمـــة في شتوتــكارت عام ١٩٢٥ . ونقله كريمسكي Krymski إلى الـروسية ، وكتب له مقدمة طويلة ونشره في موسكو عام ١٩٠٤ . كما لخصـــه بالفــرنسية وعلــق عليه إميل كالتييه Emile Galtier وأصدره في القاهرة عام ١٩١٢ .

وكتب « ريشر » Rescher عن كتاب ألف ليلة بحثاً بعنـوان Studier نشره في مجلـة Der Islam ، العــدد التاسع ، ص ١ - ٩٤ ؛ كما كتب عنه « هوروفتز » Horovitz مقالاً نشره في مجلة Islamic Culture ، التيْ صدرت بحيدر آباد في يناير سنة ١٩٢٧ ، وكتب عنه مقالات أخرى متفرقة .

أما ليتمان فكتب عن ألف ليلة في المقدمة التي صدّر بها الترجمة الألمانية وفي كتـاب Arabischen Literatur Tausendundein Nacht in der الــذي أصـــدره في توبنكَن عام ١٩٢٣ .

وليس من الميسور لنا أن نتكلم في هذا المقام على ما كتبه هؤلاء جميعـاً ، ولكننـا نستـطيع أن نقـرر بعض

الأمور العامة فنقول :

أولاً ـ إن موضوعات المأثورات الشعبية المشتركة بين الأمم لا يصح أن نعتبرها شاهداً على أصل هذه المأثورات ونخص به بناءً على هذا أمة معيّنة ، فإن عملاً كهذا قد يدفعنا إلى القول بأن كتاب ألف ليلة له أصل صيني أو أصل ينتسب إلى الهوتنتوت ، وأن القصة التي ذكر فيها السمسم المقشور كتبت في جنوبي إفريقية .

ثانياً ـ إذا عرفنا أن حكاية وردت في النص المصري الذي اكتشفه زوتنبرغ Zotenberg ، ووجدت أيضاً قائمة بذاتها ، فيكاد يكون من المحقق أن هذا النص القائم بذاته هو نص أصيل . وعلى هذا فإن ورود حكاية فارسية أو بغدادية في مخطوط زوتنبرغ لا يدل على وجود نسخة فارسية أو بغدادية لكتاب ألف ليلة وإنما يدل على أن هذه الحكاية أضيفت إلى نص زوتنبرغ .

ثالثاً ـ إن الحكايات التي تنم عن قدرة أدبية شخصية تستحق في دراستها من هذه الناحية عنايةً

أعظم مما لقيت حتى الآن ، فمثلاً من هو ذلك الفنان أو الفنانـون المصريون الـذين كتبـوا قصص معـروف وجودر وأبو قير؟ ومن الذي ابتكر حكايات الأحـدب وحكاية مزّين بغداد ؟ ومن هو الذي كتب قصة علاء الدين بالعربية ؟ فإن هذه الحـكايات جميعـاً فيهـا من الواقعية المباشرة الإنسانية ما يرى القراء الغربيون أنـه يُباين كل المباينة ما في القصص الفارسي والهنـدي من بُعد عن الواقع . وهي من طبقة القصص الذي نجده بالعبرية في كتاب العهد القديم .

وما هي سيرة أولئك الرجال وكيف كانوا يعيشـون ويكتبون ؟ أولئك الأفذاذ في الأدب الشرقي .

هذه الأمور وأشباهها من مسائل الأدب الخالص قد تعرضت لها في المادة التـي كتبتهـا عن « الحـكاية » ، فارجع إليها إن شئت .

وينبغي أن نضع موضع الاعتبـار ما ذكره صاحـب الفهرست من أسماء كتب الأدب القصصي ، وياحبذا لو أن مخطوط الحكايات الذي كشفه ريتر H. Ritter في

الآستانة طبع بأكمله . وليس هذا المخطوط من مخطوطات كتاب ألف ليلة وليلة ، ولكنه يرجع إلى المصدر الذى خرجت منه مادة هذا الكتاب .

(ماكدونالد D.B Macdonald)

« ألف ليلة وليلة »

يخطو الدهر دائباً في وناء وكبرياء وصمت ، فيعفو الأثر ويَفري الحجر ويبري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، إلا شيئاً واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويكمن كُمون السر في دخيلته وإضماره ، أريد به ذكريات الصبا وأحلام الحداثة ، فهي باقية والجسم يتخوّنه البلى ، ثابتة والعيش تزعزعه الأحداث ، ناضرة والمنى يصوّحها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من الهم ظلام وسحب .

ومن منّا لا يذكر أول بيت أبصر فيه الوجود ، وأول ملعب عرف فيه الرفيق ، وأول مكتب رأى فيه المعلم ، وأول موعد لاقى فيه الحبيب ؟

ومن منّا لا يذكر ساعات السمَر اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدة الحنون أو الأم الرؤوم أو الظئر الحانية ، فينصتون في سكون وشوق إلى ما تقصه عليهم من روائع الأسمار وبدائع الأقاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب أن يخدر الأعصاب الطفلية الرقيقة ، فتغفو تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الأقاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سحراً ، ولعواطفنا المشبوبة سكراً ، ولقلوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الأحلام والأماني ، تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم وتنقلت من عهد إلى عهد ، ومن مهد إلى مهد ، ومن بلد إلى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقة العالية ، وعطور الأزمن البعيدة السعيدة ، فوجودها أثر لوجود الإنسان ، لأنها ظاهرة طبيعية من ظواهره

كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية ، ولا تحدد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الأساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها إلى بلاد الفرس ، ثم رحلت إلى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتتّسم بسمات العقيدة .

وأما أبطالها الذين وجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ ثوب الخلود ، فقد كان لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بملازمة الأسفار ، وملابسة الغير ، فتحدث الناس أولاً بما فعلوا ، ثم سرّجوا حول أسمائهم وأنبائهم الأكاذيب والأعاجيب ، حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم ، كدعد وليلى في الشعر ، وأبي نواس وجحا في التنادر .

أما أكثر الأبطال فمن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للمثل الأعلى ، أو القدر العابث ، أو الجد العاثر ، أو السلطان الجائر ، أو الهوى المتسلط ، أو الأمل

الآسي ، أو الحظ السعيد .

القصَّاص

وما زلت أذكر مجلىً من مجالي الأنس في القاهرة كان جمعة القلوب وألفة النفوس ومستجم الخواطر فعصفت به ريح المدنية الحديثة : ذلك منظر المحدِّث أو القصّاص أو المسامر أو الشاعر في مقهى الحي ، وهو في حلته الشرقية المفوّفة الضافية ، فوق صفّته الخشبية البالية العالية ، وقد تجمع بين يديه وعن يمينه وعن شماله أوزاع العامة وشيوخ المحلة يستجمون من كلال العمل اليومي برشف القهوة العربية وتدخين النرجيلة العجمية ، وتبادل العواطف الأخوية ، ثم الإصغاء المشترك إلى (أبي درويش) وهو يقص بصوته العريض المتَّئد وجَرْسه الهادىء المتّزن ، حروب « عنترة » أو وقائع « أبي زيد » أو مخاطر « ابن ذي يزن » فينقلهم بقوة تمثيله أو بحسن ترتيله على جناح الخيال إلى عصور هؤلاء الأبطال ، فيُشهدهم مجد

البطولة وسلطان الحب وفتك السحر وبطش المردة .
ثم يرى الخبيث أن فورة الحماسة أو الشوق قد طفت في النفوس لوقوع البطل في أسر أو شدة ، فيسكت ليجمع النقوط من السمّار والنظّار ، فلا يجد هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليعجل هو إلى إطلاق البطل من إساره ، وإنقاذ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره .

هذا الرجل الذي صورته هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينام النهار ويجلس الليل يحدث أربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكه اللبق الحافظ الواعظ هو الأثر التاريخي والنموذج الحقيقي لذلك القصّاص البارع الذي خلف لنا كتابنا العالمي الخالد « ألف ليلة وليلة » .

ويرجع تاريخ هذا القصّاص إلى صدر الإسلام ، والفضل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم ، فقد اشتمل على مجملات من أخبار القرون الخالية والنذر الأولى ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها من أسلم من أهل الكتاب كتميم الداري ووهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام . فكان هؤلاء ومن أخذ

عنهم يجلسون إلى الناس في المساجد ، يفصلون ما في كتاب الله من قصص الأنبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الأنباء ، ابتغاء للعبرة والتماساً للموعظة . ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصّاص فيه ، حتى طردهم أمير المؤمنين عليّ من المساجد ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول ، وقوة أثره في توجيه الميول ، فاتخذوه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتعال الأحاديث واختلاق الأقاصيص في الأغراض الحزبية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولّى رجلاً على القصص كان إذا صلىّ الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا للخليفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحربه . وكان هو إذا انتقل من صلاة الفجر جلس إلى القاصّ حتى يفرغ من قصصه ، وكان وُلاته وقواده يقدمون القصّاص في بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وما وُعدوا به من حسن الجزاء . فعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الأثير في

حوادث سنة ٧٧ أن عتاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم . ثم قال : أين القصّاص ؟ فلم يجبه أحد .

فقال : أين من يروي شعر عنترة ؟ فلم يجبه أحد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً إلى جنب ، يشبِّهان على الناس وجوه الرشد ، ويموِّهان على العقول صوَر البطل . والقصّاص كانوا في ذلك أشد وطأة على الحق ، لأنهم ينسبون ما يفترون إلى التاريخ أو إلى الدين . فلما هدأت ثائرة الأحزاب ، وسكنت طائرة الفتن . ونضجت العقول ، عاد القصّاص إلى المسجد فوجد الواعظ قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن إلى كذبه وبهتانه ، والخليفة قد استغنى عنه برواته وندمائه ، فانقلب إلى العامة يسامرهم في املائهم وأعراسهم بما أُثر من أيام العرب ، ونُقل من أساطير العجم ، ورُوي من أخبار الفتوح .

وانتشر القصّاص في العواصم العربية حتى صاروا

من ظواهر اجتماعها ، وحاجة من حاجات عامتها ورعاعها ، واشتدت هذه الحاجة حين انفجرت الدواهي على العالم الإسلامي في أواخر العصر العباسي وبعده من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعسف المتغلبين من المغول ، وغزو المتعصبين من الفرنج . فطلبهم العامة تفريجاً للكرب ، والخاصة تشجيعاً على الحرب . ولكنهم كانوا في مصر أبرع صناعة وأنفق بضاعة وأرفع مكانة لأن طبيعة إقليمها ونظام اجتماعها وطباع سكانها كانت تعين على ذلك .

وكان أول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنتر التُجَيْبي سنة ٣٨ ، تولاه مع القضاء ثم أفرد به . ثم تعاقبت القصّاص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداء للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمعون منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وحجة . وترون ذلك أقوى ظهوراً في عهد الفاطميين ، فقد كان يعقوب بن كِلِّس وزير المعزّ يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لأهل

البيت . وكان مقتل الإمام « عليّ » ومأساة الإمام « الحسين » موضوع المنابر والسوامر في شهري رمضان والمحرَّم .

وقيل إن ريبة حدثت في قصر « العزيز بالله » فتناقلتها الأفواه ورددتها الأندية ، فطُلب إلى شيخ القصاص يومئذ يوسف بن إسماعيل[1] أن يلهي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنترة ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سمرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين إلى اليوم ، وهي إلياذة لا ينازعها هذا الشرف إلى الآن عمل فني آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة ؛ ففي عهدَي المقتدر بالله العباسي والعزيز بالله الفاطمي ، كان القصّاص الحكوميون والشعبيون يحتشدون لوضع الأخبار ، ويتنافسون في جمع الأسمار من الورّاقين والرحالين

---

(١) وقيل إنه الشاعر الطيب أبو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري . وممن قال بهذا الرأي الاستاذ كوسان برسيفال الذي طبع هذه السيرة ملخصاً في باريس .

والعامة .

ولكن القصص في العراق كان من عمل الكتاب ، يصورون فيه أنبل عواطف الناس وأجمل مواقف الحياة ، ويلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء وسوامر الملوك ؛ فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها إلى السليقة العربية المجبولة على الإيجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضعه الجهشياري وابن دلان وابن العطار في القرن الرابع من الأقاصيص في الحب الطروب والترف المسرف ، وما وضعه من قبل هؤلاء سهل بن هارون وعلي بن داود وأبان بن عبد الحميد من الأسمار في الأمثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وما صنعه من قبل هؤلاء عيسى بن دأب وهشام الكلبي والهيثم بن عدي من الأخبار في الهوى العذري والسخاء العربي في الإسلام والجاهلية ، كل أولئك موسوم بسمة العقلية العربية الخالصة من حذف

الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة .

أمـا القصص في مصر فكان غالبـاً من عمـل القصّاصين والمسامرين ، يلفقونه من الكتب ويتلقفونه من الأفواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصـاص على قدر ما عندهـم من القصص ، فإذا ما انقطع أحدهم عن الحديث لنضوب معينـه انقطعـت به أسبـاب العيش ، فهـم لذلك مضطـرون إلى تطـويل الموضـوع بالاستطـراد وبسـط الحـادث بالتـزيد ، وجـذب القلـوب بالإغـراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الأدب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للأدب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة Roman في اصطلاح الفرنج ؛ فإن المعـروف الشائـع من قبـل إنمـا كان المثـل Fable ، والأقصوصـة Conte ، والحـكاية Nouvelle . وهـذه الأنواع قد تولـد بعضهـا من بعض على نحـو ما يرى الأستـاذ « بـرونتير » Brunetière من تطبيق مذهـب دارون على الأنواع الأدبية ، فالأقصوصـة نشـأت من

المثل ، والحكاية نشأت من الأقصوصة ، باتساع الخيال وفعل المبالغة وحكم الزمن .

ولكن القصة العربية قد تأخر نشوؤها إلى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لأن عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب . والعرب في عهودهم الأولى كانوا أبعد بطبيعتهم ومعيشتهم عن هذه الأمور ، ثم كانوا في عصور التحضر والاستقرار يؤثرون الخاصة بأدبهم ، فيضطرون في حضرة الملوك أن يراعوا أدب الحديث ، فلا يغرقوا في الحادث حتى بجانب العقل ، ولا يسهبوا في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسفّوا في القول حتى يصادم الخلق . أما القصّاص المصري فقد تهيأت له الأسباب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الأوزاع والعامة فلم يتقيد معهم بقوانين الخلق ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ ، فهو يصطنع اللهجة الصريحة ، ويستعمل الألفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً إلى الإغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً إلى

الحوادث العرضية ، ثم يصادم الوقائع ويشوّه الحقائق لأنه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها ؛ فاستطاع بذلك أن يزوّر أغلب الحوادث ، ويجمع شتى الأحاديث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة ، وللعامة مصدر ثقافة .

كانْ القصاص المصري يعتمد على ما يصدر عن بغداد من الأقاصيص الموضوعة والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، ثم يضيف إلى ذلك ما تُنوقل في مصر وما تجمع من الأخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدوّنون ما رأوا من الأعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضلان وبزرُك بن شهريار مثلاً ، ثم يحدثون بها الناس ، كأنْ يقولوا لهم مثل ما حكاه ابن خُرْدَاذْبَة من أن في بعض الأمم رجالاً عراض الوجوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامة أطولهم على أربعة أشبار ، وفي جلودهم نقط حمر وصفر وبيض ، وأن فيهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه

كرأس الكلب ، وجسمه كجسم الثور أو الأسد ، وما جاء في كتاب « المستطرف » من أن في « البلغار » مَن طولُه أكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه كما تأخذ الطفل الصغير ، ويكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطبع هذه الأشياء ، وإنما رأوا صوَرها على الآثار التي خلفها البابليون والفراعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كان القصّاص يتناول هذه الأخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستطراد إلى حوادث شتى لا يصلها بحياة البطل إلا صلة واهية .

ولما هبت الأعاصير الهوج بالبربرية الجامحة ، فأطفأت منائر بغداد وزعزعت عرش الخلافة وعبثت العجمة الجاهلة بتراث العرب من علم وأدب وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على الشام ومصر تنبح الهلال الآفل وتنهش المجد الطريد ، رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً

عجيباً ، ورأينا القصاص قد اتسع خياله بقدر ما ضاق علمه ، فهو يخلق بلاداً لم توجد ويتصور حوادث لم تقـع ، ويعتمـد في العمـل على الجـن والسحـر والخوارق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة ، ظهرت في مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة غفلاً عن أسماء مؤلفيها ، لأن القصاص المحترفين إنما كتبوهـا لأنفسهم فيما أرجح ، ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة فنشرت على شكلها دون اسم ولا وسم ولا تعريف .

وأشهـر قصص هذا الـدور سيف بن ذي يزن ، والأميرة ذات الهمة ، وفيروز شاه . فأما أنها كتبت في هذي العهـود فذلك واضـح لأدنـى نظـر من لغتهـا وأسلوبهـا ومـا تدور عليه من عادات واعتقـادات وصوَر ؛ وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أمـاكن وقائعهـا وأسماء أشخاصهـا ، فأبطالهـا عاشـوا جميعـاً بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموهم إليها .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فإن العواطف الدينية والحماسة القومية التي ألهبتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصّاص على أن يتملق هذه العواطف ويغذيها بما يلفق من الأشعار والأخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر . فسيف ابن ذي يزن كان حنيفاً مسلماً يقتحم المعاقل والارصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلها وهو يقول : « لا آله إلا الله ، إبراهيم خليل الله » ، وكذلك سائر الأبطال في سائر القصص إلا أنهم كانوا بعد الإسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر كان حكم المماليك بفساده وحكم الأتراك باستبداده ، قد أتيا على ما بقي من أركان الاجتماع ، وحلّلا أواصر الأخلاق والطباع ، فظهر حينئذ ذلك القصص الوضيع الذي يمثل هذه الحال بحقارتها وسفالتها ، ويصور تلك البيئة بخرافاتها وجهالتها ، كالقصص الذي يدور على « علي الزيبق » و« أحمد الدنف » و« حسن شومان »

و« دليلة المحتالة » . واصبح أسلوب القصاص في هذا الدور دائراً بين الجهالة والقحة ، فهو يستعمل في قصصه لغة مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملاً محفوظة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة ، ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السهر والسمر قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب البطالة على أهل القاهرة ، واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشعوذة والسحر والقدر . فتكدسوا في السوامر حول القصاص ، وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الأساطير والأسمار ، فهبوا يدوّنونها كما دوّنت تلك السير من قبل ، فكان مما دوّن في تلك الحقبة الغريبة كتاب ألف ليلة وليلة .

وألف ليلة وليلة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته ، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو ـ كالشعب وكل شيء للشعب ـ قد لقي من جفوة الخاصة وترفع العلية أذىً طويلاً : أغفله الأدب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الأدباء فلم يبحثوا فيه ، ورآه محمد بن إسحق

المعروف بابن النديم فقال إنه غثّ بارد ، لأنه نظر إليه نظره إلى الأدب الأرستقراطي الذي يصور ترف الخيال وجمال الصناعة ، فلما حقق العصر الحديث تغلب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية أصحاب المذهب الإبداعي (الرومانتكيين) في الغرب بحياة السوقة والدهماء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهبّ رواد الاستعمار وعشاق الآثار ينقبون عن فولكلور[1] الشرق ، أخذ أدباؤنا ـ بحكم التقليد والعدوى ـ يعطفون على أدب السواد ، فدوّنوا اللغة العامية ، وجمعوا الأغاني الشعبية ، ونظروا بعض النظر في فن القصص وسمعوا في رجفة من الدهش إلى قول الأوربيين : إن في أدبنا الموروث كنزاً دفيناً من هذا النوع له في أدبهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بادىءَ بَدْءٍ إلى هذا القول بثقة ، واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي أن يذكر في الكتب ويوضع في المكاتب ، وينبه الناس إلى فضله ، ويهنأ

---

(١) Folklore كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي مجموع التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأمة من الأمم .

العرب بإنتاجه ، حتى رأينا بعيوننا أنه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر إلى كل لغة ، وحل الموقع الاول من كل أدب ، وظفر بإعجاب النوابغ من كل أمة حتى قال فولتير إنه لم يزاول فن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة ، وتمّنى القصصي الفرنسي « استندال » أن يمحو الله من ذاكرته ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين أخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في أصله وتكشف عن مناحي جماله وفضله ، وحينئذ أخذت خاصتنا تقرأه وتسمعه ، ومطابعنا الراقية تصحجه وتطبعه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون إليه في تاريخ الأدب . ولكنهم ـ إلى اليوم ـ لم يدرسوه دراسة علمية تكشف عن لبابه ، وهو ـ على الرغم من جميع ما فيه ـ قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ، وصوَّر بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، وأتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب والأدب الذي احتقر العامة .

مؤلف الكتاب وزمن تأليفه وسبب تسميته

ذهبت جهود الباحثين باطلاً في تحقيق هوية المؤلف ، لأن هزار أفسانه نقل إلى العربية غفلاً لم يسمّ واضعه ، ثم غشيته الطبقتان البغدادية والمصرية على التدريج ، فكان كل قصاص يكتتب لنفسه ما سمع وجمع في عصره من ثمرات القرائح وقطرات الأقلام دون أن يسندها إلى راوٍ أو يعزوها إلى مؤلف .

وقد اختلف العلماء في أن يكون المؤلف واحداً أو جماعة ، ولست أرى لهذا الخلاف وجهاً ، فإن الكتاب تكوّن على اليقين من أعمال مستقلة ، ثم نما بالاتفاق على توالي الحقب ، فوضعه وتكوينه إذن عمل جمع ، وجمعه وتدوينه عمل فرد ، وتحليله إلى الأعمال الفردية المتعاقبة أمر فوق القدرة ومن وراء الإمكان .

أما التاريخ الذي قرّ فيه على هذا الوضع الأخير فهو

النصف الأول من القرن العاشر من تاريخنا ، ومن الممكن أن نحصره منه في السنوات العشر الواقعة بين سنتي ٩٢٣ و٩٣٣ وهما توافقان سنتي ١٥١٧ و١٥٢٦ من التاريخ المسيحي : وقد حصره الأستاذ « وليم لين » بين سنتي ١٤٧٥ و١٥٢٥ للميلاد أي في مدى خمسين سنة ، فوافقناه في الغاية وخالفناه في البدء ، ولم نر هذا الرأي اعتباطاً من جهة ولا استنباطاً من النص الظنين من جهة أخرى ، وإنما اعتمدنا في تحقيقه على دليل مادي ، وهو أن الأستاذ الفرنسي كَلاَّن قد أخذ ينشر ترجمة الكتاب لبلاط الملك لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٤ ، وقد نقله عن نسخة عربية مخطوطة أرسلت إليه من سورية بعد سنة ١٧٠٠ ، وهي مكتوبة بمصر غفلاً من التاريخ ، ولكن الذي نقلها إلى الشام وهو من طرابلس ، كتب عليها بخطه أنه امتلكها سنة ٩٤٣ هـ ثم انتقلت من يده إلى آخر من حلب فكتب عليها أيضاً تاريخ هذا الانتقال وهو سنة ١٠٠١ ، فيكون الكتاب إذن قد تم قبل ٩٤٣ بزمن نقدره كما قدره « لين » بعشر سنين .

هذا من جهة الطرف الأعلى ، أما من جهة الطرف الأدنى فإنا نجد ذكر القهوة المعروفة يتردد في بعض الحكايات كحكاية أبي قير وأبي صير وحكاية علي نور الدين ومريم الزنارية مثلاً ، وذلك لا يكون قبل العقد الأول من القرن العاشر ، لأن القهوة لم تنتشر في الشرق إلا في هذه المدة ؛ ثم نجد لفظ الباب العالي وبعض النظم العثمانية تذكر في حكايات أخرى كحكاية معروف الإسكاف وهي قطعة مصرية قطعاً ، والعثمانيون لم يستولوا على مصر قبل سنة **٩٢٣** ، فيكون الكتاب إذن قد دوّن بعد هذه السنة وقبل سنة **٩٣٣** .

وقد سمى العرب هزار أفسانه ألف ليلة ، ولو أرادوا الترجمة الأمينة لقالوا ألف خرافة أو أسطورة ، فعدولهم عن العنوان الصحيح يدلنا على أحد أمرين : إما أن الليلة كانت في اصطلاحهم ترادف الأسطورة باعتبارها زمناً لها ، وذلك ما نستطيع استنباطه من قول محمد بن إسحق الوراق : « ابتدأ أبو عبد الله الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار

فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره ، وأحضر المسامرين فأخذ منهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلي بنفسه ، فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة أو أقل أو أكثر . . .» .

وإما أن يكون كذلك عدد الألف في الأصل إنما أريد به التكثير لا التحديد ، وأحْرِ به أن يكون كذلك ، فإن ابن النديم قد رآه بتمامه مراراً وقال إن فيه دون المئتي سمر ، وهو اليوم بطبقاته وزياداته واستطراداته لا يتجاوز ٢٦٤ حكاية قسّمها المؤلف على ألف ليلة وليلة تقسيماً فيه عبث الهزل أو سخف الصناعة ، فإن شهرزاد يدركها الصباح دائماً ولما يمض على حديثها غير بضع دقائق .

أما زيادة الليلة على الألف فمن عمل القرن السادس ، لأن النسخة التي رآها القُرطي بمصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي كانت تحمل اسم ألف

ليلة . ويقول « كَلدميستر » في تعليل زيادة الليلة إن العرب يطَّيَّرون بالأعداد الزوجية ، وهو زعم غريب ما رأينا في تاريخنا ولا في أدبنا ما يؤيده . ولقد ظل الكتاب أكثر من قرنين يسمى ألف ليلة ، وكان الجهشياري يريد أن يسمي كتابه ألف سمر ، وعندنا ألفية ابن معطي وألفية ابن مالك .

وأغرب من هذا الزعم أن يؤيده « أويسترپ » في دائرة المعارف ويزيد عليه أن ميل الناس في تلك العصور إلى التسجيع في عناوين الكتب كان من البواعث أيضاً على هذه التسمية . وليس في قولنا ألف ليلة وليلة تسجيع ولا مزاوجة . والغالب ـ في رأيي ـ أن الليلة إنما زيدت فوق الألف لإفادة الكمال كطفحة الإناء وسقطة الميزان .

طَريقة الكِتَاب وَأسلوبه :

كانت طريقة العرب في القصص أن يسردوا الأسمار والأحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا

يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة . وترون ذلك واضحاً في أمثال لقمان وكتب النوادر ، فلما نقلت الأقاصيص الهندية إلى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية أدخلت في أدبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متماسكة الحلقات متعاقبة الخطوات متتابعة النسق ، وذلك على ضربين : الأول أن تتعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدايتها وسبباً لروايتها ابتغاء التعويق عن فعل ما لا يحل ، وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة ، وكتاب كليلة ودمنة ، وأغلب كتاب ألف ليلة وليلة ، وهو في الفارسية مذهب بختيار نامه ، وقصة جهار درويش ، وقصة نوروز شاه ، وكتاب طوطي نامه ، وأنوار سهيلي مثلاً . والضرب الثاني أن تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة أبواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه . ومن هذا الضرب في أدبنا « كتاب سلوان المطاع في عدوان الأتباع » لابن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ ، وكتاب « فاكهة

الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » لأحمد بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ ، وفي أدب الفرس كتاب « مرزبان نامه » لمرزبان بن رستم بن شروين ، وقد ترجمه ابن عربشاه واستمد منه ، ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتذيناها في الأقاصيص الغرامية المطولة ، فألف ليلة وليلة يجري على ثلاث طرق .

يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة كحكايات الأصل ، وحكاية البنات الثلاث والصعاليك الثلاثة ، وحكاية الخياط والأحدب والطبيب » وحكاية جان شاه ، وحكاية وردخان . . . الخ .

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة ، كحكايات العشاق في بعض أقاصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية ، فإنها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب ظرفاء الشباب على أثر طيف يزور في الكرى ، أو صورة تعرض في الطريق ، أو حكاية تلقى في المجلس .

ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الأقاصيص الصغيرة المقتبسة من كتب الأدب ، كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية إبراهيم بن المهدي وحكاية خالد بن عبد الله القسري مثلاً .

أما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فإذا حكمنا عليه فإنما نحكم على جملته لا تفصيله ، ونتوخى الصفات العامة في نقده وتحليله . فهو في عمومه أسلوب سهل المأخذ ، مطرد السياق ، سوقي اللفظ ، مبسوط العبارة ، كثير الفضول ، كثير التضمين ، جريء الاشارة ، لا يعرف الكفاية ولا يقني الحياء ، ولا يصطنع التحفظ لأن سبيله سبيل العامة ، فهو يسايرهم في ثرثرتهم وفضولهم وسذاجتهم وصراحتهم وبلادتهم ، ولا يستطيع ان يكون إلا كذلك : يسير سير الأعرج المفلوج وراء المذهبين الكتابيين اللذين راجا على التعاقب في عهده ، وهما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر ، فهو يسرف في

السجع ، ويكثر من اقتباس الأمثال وتضمين الملَح ، ويتظـرف أحيانـاً بذكر مصطلحـات النحـو على سبيل التشـبيه أو التـورية ، كقولـه في قصـة قمـر الزمــان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كتنوين الإضافة معزول » . وهو يغالي في تضمين الأبيات في خلال الحكايات ويمعـن في ذلك غالبـاً حتـى يُمـل ، وترصيع النثر بالشعر أسلوب لا يألفه الأدب العربـي ولا الأدب الفــارسي وإنمــا هو ميزة من مزايا الأدب الهندي أيضاً . . . اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم إلينا في منتصف العصر العباسي وروّجه في عهد بنـي بويه مؤلفو القصص ومنشئو الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوارزمي ومن ترسم خطاهم أو سار على هداهم .

إن خير ما يمتاز به أسلوب ألف ليلـة وليلـة هو الوضـوح والصـدق والصراحـة والجـاذبية ، فالمعانـي تسبق الألفاظ الى الذهن ، والصور تسبق الوصف إلى الخاطر ، والشوق يبعث اللـذة ويثير الاهتمام ويحـرك

الانتباه ويوثق صلة السامع أو القارىء بموضوع القصة . على أن القصّاص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل ما يتصل بأحوال الشعب وأخلاق العامة ، فإذا سما إلى مقام الملوك والخاصة خانته قدرته ، وغلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصبغة المحلية ، وهي أن يسند إلى الشخص ما يلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل : فالأقاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصّاص الإسلامية كحكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان ، والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليع ، ثم نراه يجري على لسان الخليفة الرشيد ما يأبى عليه جلاله وكماله أن يقوله ، ويجعله يفعل ما لا يجوز في العقل أن يفعله كأن ينادي وزيره جعفراً بقوله : يا كلب الوزراء ! ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالعثور على القاتل في مدى ثلاثة أيام وإلا شنقه هو وأربعين من بني برمك ، وكأن يخلع في حكاية علي نور الدين مع أنيس الجليس حلة الملك ويرتدي مرقعة بالية قذرة لكريم الصياد فيفيض قملها

على أطرافه ، ويسيل قذرها على منكبيه وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساغاً من الفن ، ولكنه جشمه ما جشمه ليتسنى للخليفة أن يسمع غناء أنيس الجليس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ، فهو يدخله في هذا الزي الزَّري على الحبيب والبستاني ليقدم إليهم ما معه من السمك فيكلفوه شيَّه في المطبخ فيشويه !!

وكثيراً ما تدفع القصاص شهوة الإغراب إلى تجاوز المبالغة المعقولة ، فتفوته من الفن صفة الإمكانية ، وهي أن يُلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب ما بينها من الظروف ويمهد لها أسباب الوقوع حتى لا تتنافر والعقل والعلم والعرف والتقاليد ، والأمثلة على هذا العيب مستفيضة في كل قصة .

وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها ، كقصة الصياد والجن ، وقصة مزين بغداد ، ومقدمة حكايات السندباد وقصة

علي بن بكار وشمس النهار .

هذا إذا نظرنا الى الأسلوب في جملته وعمومه ، أما إذا تتبعناه باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه ـ فيما بقي من الأقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات المحدثة المقلدة ـ بيِّنَ السذاجة أبله الإشارة ، لأنها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريرة ، ولا تظفر إلا بتصديق العقل البسيط ، فهو جار مع طبيعتها ، متفق اللون مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة ، عفيف اللفظ ، حسن السبك ، دقيق الوصف ، كثير السجع ، قليل الفضول ، لأنه في الغالب مكتوب يحتذى على المُثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب .

وقد يسفّ في بعض الأقاصيص إسفافاً قبيحاً ، فيثقل بسخفه على الطبع ، وينبو بضعفه عن الذوق ، كما تراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلاً ، أما الأسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول ـ وخاصة الأقاصيص المكتوبة منه ـ أشبه شيء بأسلوب

الطبقة البغدادية مع اتساع في السجع وجرأة على الحشمة ، والغالبْ عليه التقليد ، فتارة يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية ورد خان والملك جليعاد ، وتارة ينسج على منوال الطريقة الفارسية كفعله في قصة قمر الزمان الثانية ، وحكاية مسرور وزين المواصف ، وقد يجري في مجراه الخاص من التهكم الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما نراه في قصة الأحدب ، وخاصة في مزين بغداد . ولكنه في القسم الثاني وفي سائر القصص الإلقائية التي ألفها القصاص ليلقوها في السوامر مهلهل النسج ، عامي اللفظ ، مرذول المبالغة ، سيّيء التلفيق ، شديد الوطأة على الحياء والمروءة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهوات العامة بالإفحاش ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة .

فلسفته ومراميه :

إن من يطلب من ألف ليلة وليلة فلسفة خاصة وفكرة عامة ووجهة مشتركة كان كمن يطلب من كافة

الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة وأغراضاً متفقة ، فهو - كما قلنا من قبل - كتاب شعبي يصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي أن تكون ، فإذا رأينا مذاهبه تتناقض ، ومراميه تتعارض ، وآراءه تختلف ، فذلك لأن المجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج قريحة معلومة ، ولا نتيجة خطة مرسومة حتى نلتمس في جوانبه الدوافع والنوازع والغاية ، إن هو إلا صدى يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقلياته وعاداته . ففي الفلسفة نراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الإسلامية ، فيدعو إلى القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا ، والاعتدال في اللذة ، والمبالغة في الحذر ، والتفويض المطلق للقدر ، فروحه من هذه الجهة تتنافر وصوَره البراقة ووسائله الطماحة وحوادثه المغامرة . ثم نراه في أقاصيص أخرى - ولا سيما الحديثة - يزين الأنانية ، ويرتضي القسوة ، ويتشوف إلى المكاسب الدنيئة ، ويشره إلى اللذة الخسيسة ، ولا يكاد يعتقد بالعواطف الكريمة . وقد يصور المتاع الحسي واللهو الجموح بما لا

يتمثل في الذهن إلا على سبيل الخيال ، كالذي يحكيه عن فتى من أبناء الملوك أرسى إلى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع نساء كأنهن اللؤلؤ المكنون ، فقضى بينهن في هذا النعيم أياماً أقل ما أصاب فيها من اللذة أنه كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو ، فتخرج إليه من الأصداف خريدة من بنات الجان ، كأنها حورية من حور الجنان إلخ . فإذا اختبرناه في السياسة والاجتماع ـ رأيناه « ملكياً » يقيم في كل مدينة عرساً ،وينصّبّ على كل مجتمع من الأحياء ملكاً ، حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، « ديمقراطياً » يشرك الملك والصعلوك في متع الحياة ومجالي الأنس ، « عائلياً » يبني نظام البيت وتأثيل المجد على الزوجة والولد ، لذلك تجدونه يستهل معظم أقاصيصه بحنين الوالدين إلى النسل ، وفزعهما إلى اللّه أو إلى المنجِّم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه إلى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والحمّال ، فالحمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللافح ، فيلقي حمله عل مصطبة أمام بيت من بيوت التجار ، يتردد إليه

النسيم الرطيب ، وتفوح منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وغلمانه ، ويسمع تغريد البلابل والفواخت في بستانه ، ويصغي إلى رنين أوتاره وغناء قيانه ، وينشق أفاويه الطعام الشهي من صحافه وألوانه ، فيرفع طرفه الحائر إلى السماء ويقول : سبحانك يا رب ! لا اعتراض على حكمك ولا معقّب لأمرك ! أين حالي من حال هذا التاجر ؟؟ أنا مثله وهو مثلي ، ولكن حمله غير حملي !!

على أن أسوأ ما سجله ألف ليلة وليلة من ظلم الإنسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فإن حظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف تنتظر من كتاب بُني على خيانة المرأة أن ينصف المرأة ؟ إن شهرزاد المسكينة إنما تسهر جفنها ، وتكد ذهنها لتقص على الملك شهريار أعجب القصص ابتغاء الحظوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم أن يسند القصّاص كل هذه النقائص إلى النساء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وأن يجري على فمها في حضرة

الملك تلك الكلمات الجريئة المخـزية في وصف بهيمية الرجل ! أما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسطى من العادات والأخـلاق والمراسـم في السوامر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والمحاكم فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، إلا أن الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمـع ، لأن القصّـاص ـ وهم مصريون ـ تكلموا عن علم ووصفـوا عن روية ونقلوا عن سماع .

أما الطبقة البغدادية فقـد عبـث بهـا القصّـاص وشابوها بلهجاتهم وعاداتهم ، ولكنها مع ذلك حرية بثقة الباحث إذا استطاع تنقيتهـا من شوائـب البهـرج والدخيل .

بقي علينا أن نعرف وجهـة كتابنـا في الـدين ، وليس من العسير على القارىء العادي أن يتبـين تلك الوجهة ، فإن في كل صفحة من صفحاته دليلاً على أنه مسلم صادق الإيمان ، قوي العقيدة ، يأخـذ تقـاليد الدين ـ صحيحة أو مشوبـة ـ مأخـذ العامـي الواثـق المطمئن ، فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق ، حتى في

مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية ، وإنما يستند في ذلك إلى مأثور الشعر ومنثور الحكم ، فسبيله في الدين إذن أن يدعو إليه ويهتف به ويتعصب له . لذلك نراه لا يتحدث إلا عن المسلمين ، ولا يتخذ أشخاصاً لقصصه ـ حتى الأجنبية منها ـ إلا من المسلمين ، فإذا كان أحد الجِنَّة أو الناس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به إلى الإسلام أو دبر له عقبى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواصف وزوجها اليهوديين ، فالحبيب والحبيبة أسلما فورفت عليهما ظلال النعيم والحب ، وظل الزوج يهودياً فدفنته امرأته حياً ، وألف ليلة وليلة بعد ذلك سُنِّيٌّ لا يكاد يعرف فرقة أخرى من فرق الإسلام ، حتى الشيعة ـ وكان لهم على عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البُوَيهيين ـ لم يذكرهم إلا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك . ولقد دل حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة قبيحة أو دعاية سيئة ، فقد أشار في موضع منها إلى أن الروافض كانوا يكتبون اسمَي

الشيخَين على بواطن الأعقاب ، وقال في موضع ثان : إن الرشيد سأل الرجل الذي همّ باغتياله وهو يلعب الكرة والصولجان فنجّاه أصلان بن علاء الدين : أما أنت مسلم ؟ فقال : كلا ، وإنما أنا رافضي ، وقال في موضع ثالث : إن أهل بغداد كانوا يغلقون الأبواب خوفاً من الروافض أن يلقوا الكتب في دجلة .

احمد حسن الزيات

+ ألف ليلة وليلة : عنوان أشهر مجموعة عربية من الحكايات الخرافية وغيرها من القصص ، وكثيراً ما يسمع المرء اليوم عبارة « مثل قصة خيالية من قصص ألف ليلة » ، والحق إن القصص الخيالية هي أبرز جزء في هذه المجموعة . وقد كان العرب ـ شأن جميع المشارقة ـ يتذوقون القصص الخيالية منذ أقدم العصور . ولما كان الأفق العقلي للعرب الأقحاح ـ في العصور القديمة قبل ظهور الإسلام ـ يميل إلى الضيق ، فإن مادة هذه الليالي قد استقيت في جوهرها من الخارج أي من فارس ومن الهند كما نتبين من أخبار

منافس النبي صلى الله عليه وسلم التاجر النضر[1] ، وفي العصور المتأخرة عن ذلك نمت الحضارة العربية فأصبحت أكثر غنى وشمولا ، فقوي بطبيعة الحال النفوذ الأدبي الوافد عليها من البلاد الأخرى . ولا يلبث القارىء الواعي لألف ليلة أن يتولاه العجب من تعدد محتوياتها وتنوع أشكالها ، فهي تشبه بوجه ما مرجاً شرقياً يحفل بأزهار جميلة مختلفة تخالطها أعشاب قليلة . على أن القارىء سوف يلاحظ أن هذه القصص تشمل ميداناً مترامي الأطراف ، فثمة قصص عن الملك سليمان وملوك فارس الأقدمين وعن الإسكندر الأكبر وعن الخلفاء والسلاطين ، وثمة قصص عن المدافع والقهوة والتبغ .

ظهورها في أوربا :

ظهورها في أوربا : ينتظم المجموعة كلَّها قصة هي هيكل القصص أو نواتها ، وهذا كان معروفاً في

(١) سبق أن رددنا على هذا القول في صدر هذه المادة

إيطاليا أيام القرون الوسطى . وتوجد آثار منه في رواية لگيوڤاني سير كامبي Giovanni Sercambi (١٣٤٧ - ١٤٢٤ م) وفي قصة أستولفو وگيوكوندو Astolfo و Giocondo التي رويت في المقطوعة الثامنة والعشرين من « أورلاندو فيوريوزو » Orlando Furioso لأريوستو (بداية القرن السادس عشر الميلادي)

وربما كان الرحالة الذين زاروا المشرق هم الذين أتوا بهذه المعرفة إلى إيطاليا . ولكن ألف ليلة وليلة كلها انتقلت إلى أوربا في القرنين السابع عشر والثامن عشر . فقد نشرها للمرة الأولى العالم والرحالة الفرنسي جان أنطوان گلاّن Jean Antoine Galland (١٦٤٦ - ١٧١٥) ، ذلك أن گلاّن استطاع في تجواله بالشرق الأوسط كاتباً لسر السفير الفرنسي ثم جامعاً للتحف للمتاحف بوصفه وكيلاً عن الهواة ، أن يعرف عالم الشرق ، وقد انصرف همه إلى جمع عدد كبير من الحكايات والقصص الخيالية التي تروى هناك . وبعد عودته إلى فرنسا بدأ بنشر سنة ١٧٠٤ مجلداته المعنونة : Les Mille et une nuits ,contes

arabes traduits en Français . وما وافى عام ١٧٠٦ حتى صدر منها سبعة مجلدات ، وصدر المجلد الثامن سنة ١٧٠٩ ، والمجلدان التاسع والعاشر سنة ١٧١٢ ، والمجلدان الحادي عشر والثاني عشر سنة ١٧١٧ أي بعد وفاة كلاّن بسنتين . وإن هذا التأخير في ظهور المجلدات الأخيرة لَيَدل على الصعوبات التي لقيهما كلاّن في العثور على مادة القصص وعلى عدم احتفاله بالجانب العلمي من عمله . كان كَلاّن قصاصاً بالفطرة يتذوق القصة الجيدة وله براعة في رواية القصة ومن ثم فهو قد طوّع ترجمته لذوق القراء الأوروبيين ، يغير أحياناً في النص العربي ويوضح الأمور الغريبة على الأوروبيين ، ولذلك حازت ترجمته لليّالي نجاحاً عظيماً ، على أنه كان إلى ذلك موفقاً في المادة التي وقعت بين يديه ، فقد بدأ بترجمة قصة السندباد الملاح من مخطوط غير محقق الأصل ، ثم علم أن هذا المخطوط كان جزءاً من مجموعة كبيرة من القصص تعرف بألف ليلة وليلة . ثم كان من حسن حظه أن أرسلت إليه من سورية أربعة مجلدات من مخطوط لهذا الكتاب كُشف

على يد نابيا أبوتNabia Abbott فيما عدا قطعة صغيرة منه ، وهو أقدم مخطوط فيما يعرف ويشمل خير نص بقي لـنا ، ولا تزال المجلـدات الثلاثـة من هذا المخطـوط محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس ، أمـا الرابـع فقـد ضاع . وقد استنفذ گلاّن في المجلدات السبعة الأولى من ترجمته المجلدات الثلاثـة من النص العربـي التـي بقيت لنـا وأضـاف قصـة السندبـاد وقمـر الزمـان من مخطوطات غير محققة الأصل . ومن ثم توقف گلاّن عن العمل ثلاثة أعوام حتى أجبره ناشره على إصدار المجلد الثامن بلا تحقيق ، وهو يشمل قصة غانم وقد ترجمها گلاّن من مخطوط غـير محقـق الأصـل ، وقصتـي زين الأصنام وخداداد وقد ترجمهما بتي ده لاكروا Pétis de la Croix وقصـد بهما أن تنشرا في كتابـهMille et un jours . ونضبت المادة تماماً من كَلاّن مرةأخرى فتوقف عن العمل ، وكان قد تعب أيضاً وملّ الأمـر كلـه . ولكنه لقي سنة ١٧٠٩ رجلاً مارونياً من حلب يدعـى حنـا كان قد استقدمـه الى باريس الرحالـة پول لوكاس ، واكتشف گلاّن للوهلة الأولى أنـه عثـر على

مصدر يروي له مادة القصص . وراح حنا يروي له قصصاً بالعربية وكَلاّن يسجل في يومياته ملخصات لبعضها . على أن حنا زوده ببعض المخطوطات أيضاً ، وبذلك تمت المجلدات الأربعة الأخيرة من ترجمة كَلاّن ، وقد بينت « يومياته » ذلك بجميع تفصيلاته . واختفت مخطوطات حنا ، على أن مخطوطين عربيين خاصين بقصة علاء الدين ظهرا إلى عالم النور ، وظهر كذلك مخطوط عن قصة علي بابا . وهذا إذن هو أصل الكتاب الذي جعل « الليالي » تعرف في أوربا وتسمى في النص الفرنسي وفي جميع الترجمات عن الفرنسية « الليالي العربية » لدى جمهرة كبيرة من القراء

وظلت ترجمة كَلاّن الفرنسية أكثر من قرن تدل على « الليالي » في أوربا ، بل إن قصتين من قصصه لا يعرف نصهما العربي قد ترجمتا إلى اللغات الشرقية . على أنه قد ظهرت في هذه الأثناء مخطوطات أخرى تتصل بألف ليلة اتصالاً يتفاوت قرباً وبعداً ، وبالاعتماد على هذه المخطوطات ترجمت ونشرت عدة

ملاحق لترجمة گلاّن ، وكما أن مخطوطات ألف ليلة نفسها تختلف اختلافاً عظيماً فيما يتعلق بالقصص التي تحتويها كذلك كان هؤلاء المترجمون على استعداد لإلحاق أية قصة عربية بألف ليلة . والملاحق الآتية - التي ظهر بعضها مستقلاً وبعضها ملحقاً بطبعات گلاّن - لها أهمية في ذاتها بوصفها دلائل على اهتمامات القراء في تلك الأيام .

وفي سنة ١٧٨٨ ظهرت على هيئة ملحق لكتاب Cabinet des Fées (المجلدات ٣٨ - ٤١) سلسلة من الحكايات ترجمها عن العربية دنيس شافي Denis Chavis . ومما له مغزى بالنسبة لاهتمامات القراء في تلك الأيام بموضوع ألف ليلة وليلة أنه ظهرت ما بين عامي ١٧٩٢ - ١٧٩٤ ثلاث ترجمات إنكليزية مستقلة لهذا الملحق . وفي سنة ١٧٩٥ نشر وليام بلو William Beloe في المجلد الثالث من كتابه Miscellanies بعض القصص العربية التي نقلها له شفويّاً باتريك راسل Patrick Russell مؤلف كتاب The Natural History of Aleppo (سنة ١٧٩٤). وفي سنة ١٨٠٠

ترجـم جوناثـان سكوت Jonathan Scott في كتابـه Tales, Anecdotes and Lettèrs بعض قصص نقلهـا من مخطـوط لألف ليلـة أحضره من الهنـد جيمس أندرسون James Anderson ، وفي سنة ١٨١١ أضاف إلى طبعته لنسخة إنكليزية من ترجمة گلاّن مجلداً من قصص جديدة نقلها من مخطوط هو مخطوط وورتلي مونتاكو Wortley Montague المحفوظ الآن في أوكسفورد ، وكان كوسان ده پرسيڤال Caussin de Perçeval سنـة ١٨٠٦ قد أضاف بالفعل مجلـدين من ملحـق طبعتـه لترجمـة گلاّن . على أن إدوارد كوتييه Edouard Gauttier قد ذهب إلى أبعد من هذا في طبعته المعتمدة لگلاّن (١٨٢٢ - ١٨٢٥) ، ذلك أنـه لم يكتف بالمجلدين المحتـويين على قصص جديدة استقاهـا من جميع أنواع المصادر بل أطلـق لنفسـه الحـرية فأدخـل غيرها في تضاعيف ترجمة گلاّن لألف ليلة . أما ڤون هامر ، فقد كان أثبـت منـه سنـداً واستخـدم نسخـة حقيقية من ألف ليلة ، ذلك أنه حصـل في مصر على مخطـوط منهـا يعـرف الآن بنسخـة زوتنبـرغ المصرية

أصبح ـ بطبعاته العديدة ـ النص الشائع لألف ليلة .
وقد فقدت الترجمة الفرنسية التي قام بها فون هامر لعدد من القصص لم ترد في نسخة كَلاَّن ، ولكن تسنسركَنك Zinserling (سنـــة ١٨٢٣) ترجمهـــا إلى الألمانية ، ونقلها إلى الإنكليزية لامLamb سنة ١٨٢٦ ، وترجمها الى الفرنسية تريبوتيانTrébutien سنـة ١٨٢٨ ، وفي سنة ١٨٢٥ بدأ هابشتM. Habicht بنشر خمسة عشر مجلداً مصرحاً بأنها ترجمة جديدة لألف ليلة ، ولكنها في الواقع كانت تضم نسخة كَلاَّن مع بعض الملاحق نقلاً عن كوسان وكَوتييه وسكوت وخاتمة زعم أنها نقلت عن مخطوط تونسي ، وبدأ هابشت أيضاً ينشر نصّاً عربياً .
واعتمد فايلWeil على هذا النص ثم على نسخة كَلاَّن من بعد ، وعلى مخطوطات محفوظة في مكتبـة كَوتـا ، وعلى نص مطبوع في مصر ، ونشر ترجمته ما بين سنتي ١٨٣٧ ـ ١٨٦٧ .

الطبعات والترجمات :

أهم الطبعات العربيّة :

لكتاب ألف ليلة وليلة هي :

ـ طبعة كلكتة الأولى : وعنوانها

The Arabian Nights Entertainments ;In the Original Arabic, Published under the Patron_ age of College of Fort William, by Shuekh Uh _ mud bin Moohummud Shirwanee ul Yumunee

كلكتة ، المجلد ١، سنة ١٨١٤ ، المجلد ٢ ، سنة ١٨١٨ ، وهذه الطبعة لا تضم بين دفتيها إلا المائتي ليلة الأولى وقصة السندباد الملاح .

٢ ـ طبعة بولاق : وهي طبعة عربية كاملة طبعت سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) عن مخطوط(عثر عليه في مصر) بالمطبعة الأميرية التي أنشأها محمد علي ببولاق قرب القاهرة .

٣ ـ طبعة كلكتة الثانية بعنوان The Alif Laila or the Book of the Thousand Nights and one Night, Commonly Known as « The Arabian Nights Entertainents » ,now , for the first time,. published complete in the Original Arabic ,from an Egyptian manuscript brought to India by the late Major Turner, edidor of the Shah -Nameh. Edited by W.H. Macnaghten, Esq. في أربعة مجلدات ، كلكتة سنة ١٨٣٩ ـ ١٨٤٢ .

٤ ـ طبعة برسلاو : Tausend und Eine Nacht: Arabisch. Nach einer Handschrift aus Tunis herausgegeben von Dr, Maximilian Habicht, Professor an der Koniglichen Universitat zu Breslau (etc.) nach seinem Tode fortgesetzt von M. Heinrich Leberecht Fleischer, ordentlichen Prof. der morgenlandischen Sprachen an der Universitat Leipzig ، برسلاو سنة ١٨٢٥ ـ ١٨٤٣ . وقد درس ماكدونالد D. B. Macdonald قيمة هذه النسخة في مقاله عن نسخة

هابشت (.Journal Roy. As. Soc ، سنة ١٩٠٩ ، ص ٦٨٥ ـ ٧٠٤) وفي مقال آخرله(A Preliminary Classification of Some MSS of the Arabian Nights, in the E.G. Browne Volume ، كمبردج ، سنة ١٩٢٢ ، ص٣٠٤) . ورأيه ـ الذي هو رأي خبير ـ هو أن هابشت قد أقام عن قصد أسطورة أدبية وأصاب بالاضطراب العظيم تاريخ ألف ليلة ، ذلك أنه لم يكن ثمة وجود قط لنسخة تونسية ، وقد أقام من بعض القصص الكثيرة التي وصلت اليه من كثير من المصادر نسخة جديدة لألف ليلة على نفس النحو تقريباً الذي أقام به ترجمته التي وصفناها من قبل . على أن ماكدونالد اعترف بأن نصوص هابشت قد نقلها بالحرف دون أن يبذل في تصحيحها أية محاولة ، ومن ثم جاءت « مبتذلة » بالمعنى الدقيق للكلمة ، على حين أن جميع النسخ الأخرى قد صححت نحويّاً ولغويّاً بمعرفة بعض المشايخ الدارسين .

٥ ـ نسخ بولاق والقاهرة المتأخرة : في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين

طبـع عدة مرات النص الكامـل لطبعــة بولاق الأولى الذي هو في جوهره نفس طبعة كلكتة الثانية . وهذه الطبعات تمثل نسخة زوتنبرغ المصرية التـي هي ثمـرة تصنيف قام به شيخ من الشيوخ في القرن الثامن عشر كما يستـدل من ملاحظـة لسيتــزن Reisen duch : U.J. Seetzen) Syrien, Palastina, Phonicien, die Transjordan- ، Lander, Arabia Petraea und Unter-Aegytenبرلـين سنــة ١٨٥٤ ـ ١٨٥٥ جـ ٣ ، ص ٨٨) ، واســم هذا الشيخ غــير معـروف ، ولــكن ملاحظــة سيتــزن تؤيد نظــرية زوتنبرغ . وقدنشرت مطبعةالجـزويت ببـيروت نسخة قائمـة بذاتهـا ولكنهـا مختصرة نقـلاً عن مخطـوط اخـر للنسخة نفسها (١٨٨٨ ـ ١٨٩٠) .

ومـن النسخـة المصرية أخـذت جميع الترجمـات الغربية الحديثة . وبدأت ترجمة لين Lane في الظهـور أجزاء سنة ١٨٣٩ ، وتمت سنة ١٨٤١ ، وهذه الترجمة غـير كاملـة ولكنهـا حافلـة بتعليقــات وافية عظيمــة القيمة ، وقد نقلت عن طبعة بولاق الأولى . أما ترجمة

باين Payne المأخــوذة من نسخــة ماكناتــن Macnaghten ، فكاملة ، وقد طبعت طبعة خاصة ، وظهرت في تسعـة مجلـدات من سنـة ١٨٨٢ الى سنـة ١٨٨٤ ، وألحق بها ثلاثـة مجلـدات إضـافية شملـت حكايات وردت في طبعة برسلاو وطبعة كلكتة الأولى سنة ١٨٨٤ ، ومجلداً هو الثالث عشر (سنة ١٨٨٩) يضم قصتي علاء الدين وزين الأصنام . وقـد اعيد طبع ترجمة باين عدة مرات منذ وفاته . وتعتمد ترجمة سير ريتشارد بيرتون Sir Richard Burton ، المأخوذة أيضاً عن طبعة ماكناتن ، على ترجمة باين اعتماداً كثيراً بل تنقلها في كثير من الأحيان حرفياً (عشرة مجلـدات سنة ١٨٨٥ ، وستة مجلدات إضافية من سنـة ١٨٨٦ إلى سنة ١٨٨٨) ، وقد طبعت هذه الترجمة كاملة عدة مرات علاوة على طبعـة سميذرس Smithers وطبعـــة زوجة بيرتون (أنظر عن العلاقة العجيبة بين نسختي باين وبيرتــون: Life of Sir Richard: Thomas Wright Burton ، في مجلـدين ، لنـدن سنـــة ١٩٠٦ ، و Life of John Payne ، لندن سنـة ١٩١٩ ، وانظر

عن محاولة عمل تقدير مقارن بين الترجمات الإنكليزية السابقـة : On Translating the Arabian Nights : Macdonald في مجلـة The Nation ، نيويورك عددي ٣٠ اغسطس و٦ سبتمبر سنة ١٩٠٠) . وقد نشر ماكس هننـك (Max Henning في Reclan's Universal Bibliothek، سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٧) ترجمة ألمانية في اربعة وعشرين مجلداً صغـيراً ، وهـي ترجمـة مختصرة بعض الاختصار أقرب إلى الركاكة ولا تورد إلا نصف الشواهد الشعرية . وتشمل السبعة عشر مجلداً الأولى الليالي نقلاً عن طبعة بولاق ، أما المجلدات من ١٨ ـ ٢٤ وهي الملاحق المختلفة فمترجمـة عن نسخـة بـيرتـون . وفي سنـة ١٨٩٩ بـدأ مـاردروس J .C. Mardrus ترجمة فرنسية لليالي اعترف صراحة بأنهـا منقولة عن طبعة بولاق سنة ١٨٣٥ . وليست ترجمته بالترجمة التي يوثق بها ، وهي تضم قصصاً من جميع المجموعات الأخرى فضلاً عن ألف ليلـة . زد على ذلك أن ثمـة ترجمـات أخـرى لألف ليلـة بالأسبـانية والإنـكليزية والبولندية والألمانية والدانمركية والروسية والإيطـالية .

وقـد قام بالترجمـة الأسبـانية بلاسـكو إيبـانيزVincente Blasco Ibanez ، وقـام بالانـكليزية بوويز ماثــرز Powys Mathers ، والترجمة البولندية غـير كاملـة .

وقد ظهـرت الترجمـة الالمانية التـي قام بهـا إينـو ليتمان Eno Littman بليپسك في ستة مجلدات ما بـين سنتـي ١٩٢١ و١٩٢٨ ، وأعيد طبعها لأول مرة في ڤيسبادن سنـة ١٩٥٣ ، ولثانـي مرة في المدينــة نفسهــا سنــة ١٩٥٤ ، وهي تشمل الترجمة الكاملـة لطبعـة كلكتـة الثــانية كما تشمــل القصص الاتية : علاء الــدين والمصباح السحري نقلاً عن مخطوط باريس الذي نشره زوتنبرغ (انظـر ما سبـق) ؛ و «علي بابـا والأربعين حرامـي » نقـلاً عن مخطـوط أكسفــورد الــذي نشره ماكدونالد (Journ. Roy.As.Soc. ، سنـة ١٩١٠ ، ص ٢٢١ وما بعدهـا ، سنـة ١٩١٣ ، ص ٤١ ومـا بعدها) ، والأمير أحمد وپاري بانو نقـلاً عن بيرتـون وهي ترجمة إنكليزية لنسخة هندوستـانية استقيت من كَلاّن ، وأبي الحسن أو النائم اليقظان نقـلاً عن نسخة برسلاو ، وحيلة النساء نقلاً عن طبعة كلكتة الأولى ،

وختام الرحلة السادسة للسندباد ورحلته السابعة نقلاً عن طبعة كلكتة الأولى ، وملحقاً في قصة مدينة النحاس ، وختام قصة السندباد والوزراء السبعة ، وقصة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري والحراس الستين نقلاً عن نسخة برسلاو ، والأخوات الغيورات نقلاً عن نسخة بيرتون وكَلاّن ، وزين الأصنام نقلاً عن مخطوط بباريس نشره كَروف F. Groff ، ومغامرة الخليفة الليلية ، وخدادادو إخوته ، وعلي خواجه وتاجر بغداد ، نقلاً عن نسخة بيرتون وكَلاّن ، وقد نشرت ترجمة أويستروپ إلى الدنماركية في كوبنهاغن سنة ١٩٢٧ ، وظهرت الترجمة الروسية بقلم كراتشكوفسكي سنة ١٩٣٤ ، والترجمة الإيطالية بقلم كابرييلي سنة ١٩٤٩ .

مشاكل أصل ألف ليلة ونموّها : عندما عُرفت ألف ليلة وليلة لأول مرة في اوروبا لم تحُقق إلا غرضاً واحداً هو تسلية القراء الأوروبيين . على أن العلماء الغربيين بدأوا في اوائل القرن التاسع عشر يهتمون بأصل ألف ليلة وليلة . وقد ناقش سلفستر ده ساسي

منشيء فقه اللغة العربية الحديث هذه المسألة في عدة رسائل (Journal des Savants سنة ١٨١٧ ، ص ٦٨٧ ، Recherches sur l'origine du recueil des contes intitulés les Mille et une nuits Mémoires de l'Academie des Inscriptions et Belles-Lettres باريس سنة ١٨٢٩، وفي جـ ١٠ ، سنة ١٨٣٣ ، ص ٣٠) . وقد أنكر بحق أن يكون الذي كتب ألف ليلة مؤلفاً واحداً ، ورأى أن الكتاب قد كتب في زمن متأخر جدّاً خلواً من العناصر الفارسية والهندية . ومن ثم فإنه قال بأن الفقرة التي وردت في كتاب مروج الذهب للمسعودي (كتب سنة ٣٣٦ هـ = ٩٤٧م ، وأعيد تحريره سنة ٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م) منحولة ، وقد نشر باربييه ده مينار هذه الفقرة بالعربية والفرنسية (Les prairies d'or ، جـ ٤ ، ص ٨٩) ونصها كما يأتي : « إن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة ، نظمها من تقرب من الملوك برواياتها ، وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة إلينا من الفارسية والهندية (وفي رواية أخرى الفهلوية بدل الهندية) والرومية مثل كتاب « هزار أفسانه » وتفسير

ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها « أفسانه » ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة (وفي روايتين أخريين ألف ليلة وليلة) وهو خبر الملك والوزير وابنته شهرزاد وجاريتها دنيا زاد (في روايات اخرى مرضعتها ، وفي مخطوطات غيرها : ابنتيه) » .

أما كتاب الفهرست لمحمد بن إ[illegible]ق بن أبي يعقوب النديم الذي كتب سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م ، طبعة فلوگل ، جـ ١ ، ص ٣٠٤) فقد ذكر « هزار أفسانه » وساق ملخصاً لقصة النواة فيه ، ويضيف كتاب الفهرست أن أبا عبد الله بن عبدوس الجهشياري المتوفى سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) وصاحب كتاب الوزراء بدأ يصنف كتاباً اختار فيه ألف قصة من قصص العرب والفرس والروم وغيرهم من الشعوب ، وقد جمع الجهشياري اربعمائة وثمانين قصة ولكنه توفي قبل أن يبلغ غرضه ويكملها حتى يبلغ بقصصها ألفاً .

وقد خالف ده ساسي de Sacy جوزيف ڤون هامر ، وأكد صحة فقرة المسعودي بجميع ما يترتب عليها من نتائج . وحاول وليام لين أن يثبت أن كتاب

ألف ليلة كله من عمل كاتب واحد وأنه كتب في الفترة ما بين سنتي ١٤٧٥ و١٥٢٥ م .

واستأنف المناقشة ده غويه ، فقارن بين الفقرة التي وردت في الفهرست والتي جاء فيها أن هزار أفسانه قد كتبت فيما يقال لهُماي (وفي رواية هُماني) ابنة الملك بهمن وبين الفقرة التي جاءت في الطبري (القرن التاسع الميلادي ، جـ ١ ، ص ٦٨٨) والتي أطلقت على إستر أم بهمن وأطلقت اسم شهرزاد على هُماي ، وحاول اعتماداً على ذلك أن يبين أن القصة النواة في ألف ليلة تتصل بكتاب إستر ، والظاهر أن ميلر كان رائداً لرأي أكثر تحرراً من ذلك في رسائله عن هذا الموضوع الى ده غويه . وفي المقال الذي نشره (في Die deutsche Rundschau ، جـ ١٣ ، عدد ١٠ يوليه سنة ١٨٨٧ ، ص ٧٧ ـ ٩٦) ، فقد فطن إلى وجود عدة طبقات في ألف ليلة : طبقة يظن أنها كتبت في بغداد ، على حين ردَّ طبقة أخرى أكبر من الأولى إلى أصل مصري . وقد بلوَر نولدكه فكرة وجود عدة طبقات في الكتاب بدقة أكبر من ذلك ، وحدد تحديداً تقريبياً

النصـوص التـي نستـطيع بهـا أن نميز كل طبقـة من الأخرى .

وقد وصف نولدكه محتويات الليالي ودرسها عدة مرات . وبحثُ أويستروپ له أهمية خاصـة في هذا الصدد ، فقد ترجـم إلى الـروسية بمعرفـة كريمسـكي وترجمه إلى الألمانية ريشر ونشر كالتييهGaltier ملخصاً فرنسياً له مع تعليقات في القاهرة سنة ١٩١٢ . وثمة مناقشات أخرى بارعة لهذا الموضوع ساقهـا هوروفتـز وخاصة في مقالته الآتية :

von Tausendundeine Naht : Horovitz)
، The Review of Nations في مجلـة Die Entstehung
عدد ٤ أبريل سنة ١٩٢٧ ، الكاتب نفسه فيCulture
: Littmunn : وانظر أيضاً ، سنة ١٩٢٧ ، Islamic
der arabischen Litteratur Tausendundeine Nacht
Geschichte Vonوانظر أيضاً ، ١٩٢٣ in توبنكَن سنة
في Tausendundeine Nacht Die Entstehung und
مقدمةAnhang ترجمة ليتمان السالفة الذكر) .

وقد اكتشف بمعرفة نابيا أبوت أقدم شاهـد على

وجـود كتــاب ألف ليلــة وليلــة (Nabia Abbott :
A NinthCentury Fragment of the «Thousand Nights
New Light on the Early History of the Arabian
، Nights ,Journal of the Near Eastern Studies
سنــة ١٩٤٩) . وذكــر الــكتــاب بعـد ذلك
المسعودي ثم الفهرست (انظر ما سبق) وفي القـر ن
الثاني عشر الميلادي كانت تُعرف في مصر مجموعة من
القصص باسم « ألف ليلة وليلـة » نستبـين ذلك من
رجل يدعى القُرْطي كتب تاريخـاً لمصر في عهـد آخـر
الخلفاء الفاطميين (١١٦٠ - ١١٧١ م) ، وقد نشر
الغزولي المتوفى سنــة ١٨١٥ هـ (١٤١٢ م) ، فـي
مجموعته قصة من ألف ليلة وهو أمـر فطـن إليه توري
Torrey) في Journal of the American Oriental
Society ، سنــة ١٨٩٤ ، ص ٤٢) . وعثـر ريتـر
A. Ritter على مخطوط في إستانبـول يرجـع إلى القـر ن
الثالـث عشر أو الرابـع عشر الميلادي ، ويشمـل هذا
المخطوط أربـع حكايات من النسخـة المصرية ، ولـم
يذكر أنها جزء من ألف ليلة ، وستنشر هذه الحكايات

وتترجم بمعرفة فهر Wehr بالاعتماد على الدراسات التي قام بها ڤون بولمرينك A. von Bulmerincq ، ثم يأتي بعد ذلك مخطوط كَلاَّن ومخطوطات أخرى من ألف ليلة تغطي المدة من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر .

ومن ثم فنحن نعلم أنه كان يوجد جزء بغدادي وجزء مصري على الصورة المألوفة لليّالي . وقد صنف أويستروپ القصص القائمة بذاتها ثلاث طبقات : الطبقة الأولى منها تشمل الحكايات الخيالية المأخوذة من كتاب هزار أفسانه الفارسي ومعها القصة النواة في الكتاب ، أما الطبقة الثانية فهي تلك القصص المستقاة من بغداد ، وأما الطبقة الثالثة فهي القصص التي أضيفت إلى صميم الكتاب . وقد أدخلت فيه ـ على سبيل المثال ـ الرواية الطويلة الحافلة بالحب والخيال والبطولة ، رواية عمر النعمان ، وذلك عندما أخذ بالمدلول الحرفي لعنوان الكتاب وهو « ألف ليلة وليلة» . ولكن قصة « سول وشمول » التي وردت في مخطوط محفوظ بتوبنگن هو ـ بصريح العبارة ـ جزء من الليالي

نشره تسيبولـد على هذا الاعتبـار ، فلـم تكن قط على التحقيق جزءاً متمماً للّيالي لأنه يرد فيهـا خبـر مسلـم يعتنـق النصرانية ، على حـين أن المسلـم في الليالي لا يخرج أبداً عن إسلامه إلى أي دين آخر ، وإنما يحدث في كثير من الأحوال أن يخرج النصراني أو الزرادشتي أو الوثني عن عقيدته إلى عقيدةأخرى .

والصور الآتية للّيالي هي التي قررها ماكدونالد The Earlier history of the Arabian Nights :Macdonald في Jour. Roy. As. Soc. سنـة ١٩٢٤ ، ص ٣٥٣ وما بعدها) قاصـداً بذلك أية مجموعـة من القصص تدخل في هيكل الكتاب الذي نعرفه : (١) الكتاب الفارسي الأصل « هزار أفسانه » أي القصص الألف (٢) نسخـــة عربية من هزار أفسانـــه (٣) القصة النواة في هزار أفسانه تتبعهـا قصص من أصـل عربي (٤) الليالي التي ترجـع إلى العهـد الفاطمـي المتأخر والتي يشهد برواجها القُرْطي (٥) التهـذيب الذي عمل لمخطوط كَلاّن . ويستدل من تعليقات في هذا المخطـوط أنـه كان في طرابلس الشـام سنـة ٩٤٣

هـ (١٥٣٦ م) وفي حلب سنة ١٠٠١ هـ (١٥١٢ م) ، وقد يكون أقدم من ذلك بطبيعة الحال ، على أنه كُتب في مصر . ولا تزال تقوم إلى اليوم من غير حل مسألة الصِّلات بين هذا المخطوط وغيره من المخطوطات القديمة القائمة بذاتها . ويوجد من هذا القبيل ـ في قول ماكدونالد ـ ستة مخطوطات على الأقل يجب دراستها .

وقد ورد عند نابيا أبوت (انظر ما سبق) الست الصور الآتية من كتاب الليالي : (١) ترجمة لكتاب هزار أفسانه ترجع إلى القرن الثامن الميلادي ، وقول بأن هذه الترجمة هي في أغلب الاحتمالات ترجمة كاملة حرفية ولعلها كانت تعرف باسم « ألف خرافة » (٢) رواية إسلامية من القرن الثامن الميلادي لهزار أفسانه عنوانها « ألف ليلة » ، وربما كانت هذه الرواية كاملة أو مجزوءة (٣) نسخة مركبة من «ألف ليلة» ترجع إلى القرن التاسع الميلادي ، وهي تضم بين دفَّتيها مواد فارسية وعربية . ومع أن معظم المواد الفارسية فيها مأخوذة من هزار أفسانه فإنه ليس ببعيد أنها أخذت من

غيرها من كتب القصص وخاصة كتاب سندباد وكتاب شماس . وأما المواد العربية فهي لم تكن - كما بيّن ليتمان من قبل - من القلة أو التفاهة بمقدار ما وهم ماكدونالد (٤) كتاب « ألف سمر » لابن عبدوسن من القرن العاشر الميلادي ، وليس من الواضح هل كان الغرض من هذا الكتاب أن يشتمل فيما يشتمل على جميع القصص الشائعة في ألف ليلة ويحل غيرها محلها أم لا ؟ (٥) مجموعة ترجع إلى القرن الثاني عشر زيدت عليها مواد من كتاب ألف سمر وحكايات أسيوية ومصرية من تأليف مصري محلي . وأرجح الاحتمالات أن تغيير عنوان الكتاب إلى « ألف ليلة وليلة » يرجع إلى هذا العهد . (٦) المراحل الأخيرة من هذه المجموعة النامية من القصص التي تمتد إلى صدر القرن السادس عشر الميلادي . ومن أبرز الزيادات عليها قصص البطولة التي تشيد بقتال المسلمين للصليبيين . وربما كانت فارس والعراق قد أسهمتا في المجموعة ببعض الحكايات المتأخرة الخاص معظمها بالشرق الأقصى وذلك في أعقاب الفتح المغولي لهذه الأصقاع في

القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد ختم الفتح الأخير للشام ومصر المملوكيتين على يد سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠ م) الفصل الأول في تاريخ ألف ليلة العربية في موطنها الشرقي .

وربما كان العنوان « الحكايات الألف » قد غُيّر إلى « ألف ليلة » عندما جمع العرب بين القصة النواة والقصص الأخرى . ولا يمكن أن يكون ذلك قد تم في وقت متأخر عن القرن التاسع الميلادي . وقد كانت « الحكايات الألف » تدل في الأصل على عدد كبير من الحكايات ، وعلى هذا النحو قيل إن شهرزاد قد جمعت « ألف كتاب » . وفي نظر البسطاء يدل العدد مائة نفسه على رقم كبير ، وقولنا « قبل مائة عام » يدل في نظر المؤرخين المشارقة أنفسهم على معنى يساوي « منذ زمن طويل » ، ولذلك فإن الرقم ١٠٠ لم يكن يؤخذ بلا شك بمعناه الدقيق ، وإنما كان الرقم ١٠٠ يكاد يدل على « عدد لا يحصى من السنين » . وقد كان كتاب ألف ليلة الذي كان معروفاً في بغداد قلما يحتوي على ألف ليلة قائمة بذاتها . ولكن لماذا غُير العنوان من

« ألف ليلة » ألى « الف ليلة وليلـة » ؟ . ربمـا كان بعض السبـب في ذلك يرجـع إلى الـكراهية الخـرافية للأعداد التي تقبل القسمة على عشرة ، وهـي خرافـة شائعـة بـين العـرب كما هي شائعـة عنـد غيرهـم من الشعوب ، على أن الاحتمال الغالب هو أن ذلك يرجع أيضاً إلى تأثير الاصطلاح التركي « بَكْ بر » أي الألف وواحد الذي يطلقونه للدلالة على العدد الكبير . وفي الأناضول يقوم أثر يعرف باسم « بَكْ بركليسـه » أي « الألف الكنيسة وكنيسة » ولكن لا يوجد هناك منهـا عدد بمثل هذه الكثـرة . وفي إستانبـول مكان يعـرف باسم « بَكْ برديرك » أي « الألف العمود وعمود » ، ولكن لا يقوم فيها إلا عدة عشرات منهـا . والجنـاس الحرفي التركي « بَكْ بر » يشير إلى الأصل في المصطلح الفـارسي « هـزار يك » أي « ١٠٠١ » وإلى عنـوان « ألف ليلـة وليلـة » . وقـد كانـت فارس والجـزيرة والشام وغيرها من بلاد الإسلام الشرقية واقعة تحت نفوذ الترك ، ومن ثم فإن العنوان « ألف ليلة وليلة » كان مدلولـه في أول الأمـر لا يتعـدى : « عـددٌ كبـيرٌ من

الليالي » ، ولكن حدث من بعد أن أخذ بمدلول العنوان الحرفي وأصبح من المحتم إضافة عدد كبير من الحكايات الى الكتاب ليبلغ عدد الليالي ألف ليلة وليلة .

العناصر المختلفة الداخلة في تكوين الكتاب :

إذا سلمنا إذن بأن الهند وفارس والجزيرة ومصر ، والأتراك بوجه من الوجوه ، كانت لهم مشاركة في أصل الليالي فإننا يجب أن نذهب إلى أن مواد مستقاة من جميع هذه البلاد والشعوب تدخل في هذه الليالي . وأول المقاييس الخارجية الدالة على ذلك هي أسماء الأعلام . فثمة أسماء هندية مثل السندباد ، وأسماء تركية مثل علي بابا وخاتون ، أما الأسماء : شهرزاد ودينازاد (دنيازاد) وشاه زمان فأسماء فارسية وهي ترد ، كما بيّن ده غويه ، في الأساطير الفارسية . وكذلك بهرام ورستم وأردشير وشابور (سابور) وكثير غيرها فإنها فارسية . ومع ذلك فإن أغلب الأسماء عربية : منها أسماء عربية قديمة كانت تستعمل بين البدو ، ومنها

أسماء إسـلامية متأخـرة . وتـرد الأسماء الـرومية والأوربية في حالات قليلة ، وذلك في القصص التـي تتناول الصِّلات بين المسلمين والبوزنطيين (الـروم) والفرنجـة ، وتشـير الأسماء المصرية الى أمـاكن وإلى شهور بصيغتها القبطية . أمـا الاسماء العبـرية فيذكر منها بصفة خاصة سليمان وداود ، وكلاهما له شأن هام في الأخبار الإسلامية ، وعلاوة على هذين يذكر آصف وبرخيا وبلوقيا وغيرهم . ولكن يجب ألا نعوّل تعويلاً كبيراً على الأسماء لأن الكثير جدّاً من قصص الكتـاب تغيّر فيها الأسماء إلى أشخاص آخـرين ، كما يحـدث كثيراً أن يكون لأشخاص غير مسمّين دور فيها .

على أن الطريقة التي تقوم على قصة تكوّن هيكل القصص أو نواتها ـ وهي طريقة شائعة جدّاً في الهند ، نادرة كل الندرة في غيرها من البلاد ـ لدليل على وجود أصـل هنـدي لبعض أجـزاء ألف ليلـة ، ومـن لوازم الكتـب الهندية الشعبية أن تقـول : « لا تفعـل ذلك وإلا أصابـك ما أصـاب فلانـاً » فيسأل السامـع : « وكيف ذلك ؟ » وهنالك يبدأ المحذّر قصته .

وقد درس اويستروب العناصر الأجنبية لليّالي في عناية ، ومن أهم ما كشف عنه أن العفاريت أو القوى الخارقة في الخرافات الإيرانية تتصرف من تلقاء نفسها مستقلة عن غيرها ، أما في القصص المتأخرة من ألف ليلة وليلة ، وخاصة تلك القصص التي استقيت من مصر ، فإنه يهيمن عليها في جميع الأحوال طلسم أو تعويذة سحرية ، ومن ثم فإن صاحب الطلسم أو التعويذة يسيطر على تطور الحوادث ولا يسيطر عليها الجن أو العفاريت . ولا يتسع المكان هنا إلا لتلخيص العناصر الأجنبية في ألف ليلة اختصاراً موجزاً :

إن القصة النواة ـ أو القصة التي هي هيكل ألف ليلة ـ هندية الأصل ، أما أن هذه النواة تتكون من ثلاثة أجزاء مختلفة كان كل منها في الأصل قصة مستقلة ، فأمر بينّه إمانويل كوسكان . وهذه الأجزاء هي : (١) قصة الرجل تحزنه زوجة خائنة فيأتسي إذ رأى هذا المصير المحزن ينزل برجل من وجوه القوم (٢) قصة العفريت أو المارد تخونه زوجه أو أسيرته مع كثير من الرجال على نحو يتسم بأشد الجرأة ، وهي

نفس الحكاية التي يحكيها الوزير السابع في قصة السندباد الحكيم (٣) قصة الفتاة الأريبة تبرع في رواية القصص فتتحاشى شرّاً يهددها أو يهدد والدها أو يهددهما جميعاً ، والجزء الثالث من هذه الأجزاء هو الذي ينتسب فيما يظهر إلى القصة النواة الأصلية كما بيَّن المسعودي وكتاب الفهرست . وفيها إذن لم يعرف إلا الملك القاسي والابنة الأريبة للوزير وحاضنتها المخلصة . ومن الراجح أن قصة الابنة الأريبة للوزير قد انتقلت في تاريخ متقدم من الهند إلى فارس وهناك صبغت بالصبغة الفارسية وضمت إلى الجزءين الآخرين من القصة النواة . وثمة عدد من قصص ألف ليلة من أصل هندي ، مثل قصة الأتقياء التي تذكرنا بالأولياء البوذيين او الجيناويين ، والخرافات الخاصة بالحيوان ، وسلسلتي قصص السندباد الحكيم وجليعاد وشماس . ونجد الموضوعات الهندية كاملة في فقرات مختلفة من ألف ليلة مثل قصة الجواد المسحور ، والتسميم بأوراق كتاب (بمعرفة الطبيب دوبان) وهي عادة تشير إلى ما درج عليه الهنود . وكل ذلك قد انتقل إلى فارس قبل

أن ينتقل إلى العرب .

وهناك جملة يعتد بها من القصص أصلها فارسي ، وخاصة تلك الخرافات التي تتصرف فيها الأرواح أو الجن والجنيات كلٌّ مستقلاً عن الآخر (انظر ما سبق) . والقصص التي أحصاها أويستروپ على اعتبار أنها هندية فارسية الأصل هي القصص الآتية : (١) قصة الجواد المسحور (٢) قصة حسن البصري (٣) قصة سيف الملوك (٤) قصة قمر الزمان والأميرة بدور (٥) قصة الأمير بدر والأميرة جوهر السمندلية (٦) قصة أردشير وحياة النفوس . ومن أقوال أويستروپ يتبين أن الصلة بين قصة علي شار وبين أصلها الفارسي غير محققة ، علماً بأن قصة علي شار تشتمل على عدة تفصيلات تتردد في القصة التي يرجح أنها متأخرة عنها في الزمن وهي قصة نور الدين علي والفتاة ذات الزنار ، وهذه القصة ترد أيضاً في ألف ليلة . أما قصة الفتيات الغيورات وقصة أحمد وپاري بانو اللتان لا تردان إلا في نسخة كَلاَّن ففيهما طابع قوي يوحي بأنهما فارسيّا الأصل ، ولكننا

لا نعرف بعدُ النماذج الفارسية الأصلية التي نسجتا على منوالها .

وبغداد تقع في إقليم بابل القديم ، ومن ثم فإن الراجح أن الأفكار البابلية القديمة بقيت قائمة هناك حتى العهود الإسلامية ، وربما كانت قد انعكست في ألف ليلة ، بل إن قصة حيقار الحكيم كلها ـ التي تبدو في بعض المخطوطات جزءًا من ألف ليلة ـ أصلها من بلاد الجزيرة القديمة ، ولعلها ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وقد تسربت عن طريق الأدبين اليهودي والنصراني إلى الأدب العربي . والخضر ـ صاحب الشباب الخالد ـ له أصل بابلي . وربما كانت رحلات بلوقيا وماء الحياة الذي كان يفتش عنه الأمير أحمد تعكسان موضوعات من ملحمة گلگمش البابلية . ومع ذلك فمن المرجح أن خضرا وماء الحياة قد انتقلتا إلى العرب عن طريق قصة الإسكندر ، وأن رحلات بلوقيا قد عرفوها عن طريق الأدب اليهودي . وفوق ذلك كله نجد أن الحكايات التي تتردد في ألف ليلة كثيراً عن الخلفاء العباسيين وبلاطهم وكذلك بعض

الحكايات عن رعاياهم تنتسب إلى النسخة البغدادية من ألف ليلة . والراجح أن قصة السندباد الحكيم قد استقرت في شكلها النهائي ببغداد ، وأن قصة عمر بن النعمان (أنظر هذه المادة) تضم بين دفّتيها مواد من فارس ومن الجزيرة ومن الشام . وتشير قصة عجيب وغريب الى الجزيرة والى فارس . وقد نشأت قصة الجارية البارعة تودد في بغداد كما أنه قد أعيد صوغها من بعض الوجوه في مصر . والمحقق أن قصص بلوقيا والسندباد الحكيم ، وجليعاد وورد خان كانت معروفة في بغداد . ولكن ليس ثمة شاهد معين على أن جميع هذه القصص كانت أجزاء من نسخة بغداد . ويصدق هذا على القصص الأربع الواردة في مخطوط إستانبول الذي عثر عليه ريترH.Ritter (انظر ما سبق) فهو يضم بين دفّتيه أربع قصص من ليالينا ولكنه لا يشير إلى ألف ليلة وليلة . وهذه القصص هي : (١) قصة الرجال الستة أي الإخوة الستة وحلّاق بغداد (٢) قصة جلّنار وفتاة البحر (٣) قصة بدور وعمير بن جبير (٤) قصة أبي محمد

الكسلان .

أما القصص التي يفترض أن أصلها مصري فهي القصص التـي تروى فيهـا الحيل البارعـة للُّصـوص والصعاليك ، والقصص التـي تتحـدث عن الأرواح والجـن الـذين يظهـرون بمظهـر الخـدام لطلسمات أو تعاويذ سحرية ، والقصص التـي يمكن أن نسميهـا القصص البرجـوازية والتـي يشبـه بعضهـا الـروايات الحديثة التي يدور موضوعها حول العشق . وكل هذه القصص ترجع بطبيعة الحال في شكلها الحالي إلى ايام سلاطين المماليك والحكم التركي في مصر ، ومع ذلك فإن بعض الموضوعات ترجع إلى مصر القديمة ، ذلك أن الصعلوك الأريب علي الزيبق وصاحبه أحمد الدنف نجد أصلهما ماثلاً في القائد المأجور أماسيس ، وكذلك نجد كنز رهاپسينيث ماثلاً في قصة علي الزِيبق كما بيّن نولدكه . وربمـا كان أصـل الكاتـب القـرد في قصـة سيدات بغداد الثلاث ماثلاً في توت المصري القديم ، وهو كاتب الآلهة المصرية القديمة الذي يصور دائماً على هيئـة القـرد ، أو في هنومـان قائـد القـردة في كتـاب

« الرامايانا » الهندي .

وذهب بعضهم أيضا إلى أن القصة القديمة ـ التي تتحدث عن المصري الذي نجا من سفينة غارقة ـ لها صلة برحلات السندباد ، وأن قصة فتح يافا على يد مقاتلين مصريين اختفوا في غرائر تتردد في قصة علي بابا . على أن هذه الصلات ليست قريبة الاحتمال .

وانظر عما يمكن أن يكون هناك من تأثيرات إغريقية في ألف ليلة كتاب كرونباوم(Medieval Islam :Von Grunbaum ، شيكاغو سنة ١٩٤٦ ، الفصل الثامن وعنوانه Arabian Greece in the Nights) .

الصور الأدبية المختلفة في ألف ليلة : يبقى أن نسوق بياناً موجزاً بالأشكال الأدبية المختلفة الماثلة في ألف ليلة . ومن المستحيل في هذا المقام بطبيعة الحال أن نذكر كل قصة من القصص جميعاً كما اتبع في مقدمة ترجمة ليتمان (Anhang : Littmann) وقد وجد أن أهم هذه الأشكال ستة : (١) خرافات (٢)

روايات وقصص (٣) أساطير (٤) حكايات تهذيبية (٥) حكايات فكاهية (٦) نوادر . وحسبنا أن نضرب أمثلة قليلة على كل شكل :

١ ـ تشتمل القصة النواة على ثلاث خرافات هندية ، وإلى هذا الشكل الأدبي تنتسب القصص التي تأتي في أول جميع المخطوطات (التاجر والجن ، الصياد والجن ، الحمال ، الدراويش الثلاثة وسيدات بغداد الثلاث ، الأحدب) . وهذه القصص نفسها شواهد على طريقة القصة النواة وفيها سمات تذكرنا بالنماذج الهندية الأصلية بل تذكّرنا ببعض الموضوعات التي لها نظائر في القصص الواردة من الشرق الأقصى . وأشهر هذه القصص هي قصة علاء الدين والمصباح السحري وقصة علي بابا ، ومن الشواهد الأخرى قصة قمر الزمان وبدور ، وقصة الأخوات الغيورات وقصة الأمير أحمد وپاري بانو ، وقصة سيف الملوك ، وقصة الحسن البصري ، وقصة زين الأصنام .

٢ ـ وأطول الروايات هي رواية عمر بن النعمان

وأولاده ، وقد درسها باريت وكَريكَوار وكَوسنس H. Gregoire and R. Gossens وقصة عجيب وغريب هي نموذج الرواية الإسلامية الشعبية . أما قصص الحمال والثلاث بنات ، وعلاء الدين أبي الشامات . ونور الدين وشمس الدين ، ونور الدين ومريم الفتاة ذات الزنّار فيمكن أن نسميها الروايات أو القصص « البورجوازية » وكذلك قصة أبي قير وأبي صير .

وهنا نستطيع أن نضيف قصص الحب ، وقد احتوت الليالي على جملة كبيرة منها ، تشمل ثلاث مجموعات : (أ) وهي تتحدث عن الحياة العربية القديمة أيام الجاهلية (ب) وتتحدث عن الحياة الحضرية في بغداد والبصرة ، وعن قصص حب فتيات أو جوار في المدن أو في قصور الخلفاء (ج) وتتحدث عن قصص حب من القاهرة تتسم في بعض الأحيان بالعبث والفحش .

ويمكن أن نذكر في هذا المقام أيضاً قصص الصعاليك وجوّابي البحار (أما عن قصة علي الزيبق فانظر ما أسلفنا بيانه) وهناك عدة قصص قصيرة عن

الأوصياء رُويت أمــام حكام مصر . وتقــوم قصــة السندباد الحكيم على كتاب « عجائب الهند » الـذي يشتمل على مغامرات وتلفيقات لبحارة التقطهم ربـان فارسي من البصرة في القرن العاشر الميلادي . والجزء الأول من قصة أبي محمد الكسلان مكوّن من قصص بحارة وموضوعات حكاياتهم الخرافية .

٣ ـ وهناك أساطير عربية قديمة أدخلت في ألف ليلة مثل : حاتم الطائي ، وإرم ذات العماد ، ومدينة النحاس ، ومدينة لبدة ، وهي تشير الى فتح العـرب شمالي إفريقية . وتشير أساطير أخرى إلى رجال ونساء أتقياء ، ومن بينهم أتقياء من بني إسرائيل (ولا يقتضي هذا نسبتها إلى كتّاب يهود) . أما أسطورة الأمير التقي الذي كان ابناً لهارون الرشيد ثم غدا درويشاً ، ففيها أثر من أسطورة ألكسيوس المشهورة .

٤ ـ والحكايات والخرافـات والأمثـال التهـذيبية معروفة لدى عدة شعوب ، وقد وجـدت سبيلهـا إلى الليالي أيضاً حيث يبدو على معظمها أنها نشأت في الهند مثل السلسلتين الطويلتين للسندباد الحكيم ، وجليعاد

ووردخـان ، وكثير من الخرافـات التـي تدور حول الحيوانـات ، على أنـه قد أعيد صوغهـا في القوالـب العـربية : وتنتسـب إلى هذا الشـكل الأدبـي القصـة الطويلـة عن الجـارية تودد (انظـر هذه المادة ، وفي أسپانيا : لادونسلاّ تيودور la doncella Teodor ، وفي الحبشة : (تَوْدِد) بما يتصف به من أصل يرجح أنـه يوناني ، وقد أصاب هوروفتز كبد الحقيقة في دراسته هذا الأصل .

٥ ـ والخرافات الفكاهية هي قصص أبي الحسن أو النائم اليقظـان ، والخليفـة والصياد ، وجعفـر البرمكي والبدوي الشيخ ، وعلي الفارسي ، والقصـة الأخيرة مثال لقصة الأكاذيب ، وفي قصتـي معـروف الإسكافي والأحدب سمات فكاهية كثيرة .

٦ ـ ومجموعة النوادر تشمل في هذا المقـام جميع القصص التي لا تدخـل في مجموعـة من المجموعـات السابقة . ومن جملة النوادر قصتا الأحـدب والحـلاق وإخوته ، وتتـكوّن منهما مجتمعتـين رواية فكاهية من طراز عظيم . ويمـكن تقسيم سائـر النـوادر ثلاث

مجموعات : مجموعة الحكام ، ومجموعة الأجواد ، ومجموعة انتزعت من الحياة الإنسانية العامة . ومجموعة الحكام تبدأ بالإسكندر الأكبر وتنتهي بسلاطين المماليك ، وقليل منها يشير الى ملوك فارس ، وتشير جملة كبيرة منها إلى الخلفاء العباسيين وفوق هؤلاء جميعاً هارون الرشيد الذي أصبح الحاكم الأمثل في نظر المسلمين المتأخرين . وربما يكون بعض هذه النوادر لم ينشأ في بغداد بل نشأ في مصر وهناك نسب إليه .

أما الأجواد الذين تتحدث عنهم ألف ليلة فهم بخاصة : حاتم الطائي ، ومعن بن زائدة ، والبرامكة . وأما مجموعة النوادر المنتزعة من الحياة الانسانية العامة فهي من عدة أصناف : فهي تتحدث عن الغني والفقير ، والشيوخ والشباب والحالات الجنسية الشاذة (مثل وردان والمرأة صاحبة الدب ، والأميرة والقرد) وعن الخصيان من أهل السوء ، وعن القضاة الظلمة والقضاة النابهين ، وعن نظّار المدارس السفهاء (وهم صنف معروف في الأدبين اليوناني والروماني كما هو مأثور في الحكايات المصرية العربية

الحديثة) . أما قصة المغامرة الليلية للخليفة التي نشرها كَلاّن دون سواه فهي تشمل ثلاث نوادر طويلة رُويت في إفاضة واختلطت بموضوعات من موضوعات الخرافات .

وفي طبعة كلكتة الثانية من ألف ليلة ١٤٢٠ قصيدة أو قطعة من الشعر بحسب قول هوروفتز تكرر منها عدد يبلغ ١٧٠ قصيدة أو قطعة يجب حذفها ، فيبقى من الشعر ١٢٥٠ دخل في ألف ليلة . وقد استطاع هوروفتز أن يثبت أن هذه الشواهد الشعرية التي أدخلت على ألف ليلة واستطاع هو أن يتعرف على قائلها ، ترجع الى حقبة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين أي إلى الفترة المصرية من تاريخ ألف ليلة . وهذه القصائد والأشعار من ذلك الطراز الذي تستطيع أن تحذفه دون أن يخل بسياق النصوص النثرية لليّالي ومن ثم فإنه قد أضيف إليها في عهد متأخر .

[E. Littmann : ليتمان]

الفهرس







